مسرحيات عراقية

أبناء للبيع أو الإيجار

اللعبة

نهارات الليالي الألف

المهرج

قاسم محمد - عبد الخالق الركابي - عواطف نعيم

إهـــــــداء ٢٠٠٦

الدكتور/ محمود أمين العالم

القاهرة



ثقافة ضد الحصار

ابداع (٧)



مسرحيات عراقية

تأليف

قاسم محمد ـ عبدالخالق الركابى ـ عواطف نعيم

القاهرة

طبعة أولى

١٩٩٨م

ثقافة ضد الحصار

ابداع (٨)

*

٤ مسرحيات عراقية

تأليف

قاسم محمد-عبد الخالق الركابي-عواطف نعيم

القاهرة ١٩٩٩

الطبعة الاولى

*

دار عشتار للنشر

المقر الرئيس : ليدز -انجلترة

المكتب التمثيلي : ج.م.ع.

المراسلات بإسم مدير الدار :

نهاية شارع الملك فيصل -

٨ب مساكن الشركة الوطنية-شقة ٢

الجيزة - ج م.ع.

هاتف : ٣٨٣٢٥٣٤

مدير الدار

بثينـــة الناصري

ثقافـــــة ضد الحصــار

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما ننفق كل العمر كي ننقب ثغرة

ليمر النور للأجيال ..... مرة

- أمل دنقل -

يهدف الحصار الشامل المفروض على شعب وادي الرافدين الى محاصرة العقل والروح والإبداع العراقي أولاً . (ثقافة ضد الحصار) تفتح ثغرة في جدار الحصار .

يساهم في دعم هذه السلسلة : الطيبون الذين يؤمنون بأن الثقافة الانسانية امتـــداد وتواصل ، وأن الكلمة ضمير هذه الأمة ، فالشكر والامتنان لكل من يحمل معولاً لهدم

جـــدار الحصـــار

- عشــتار -

تصميم الغلاف : بثينة الناصري
تنفيــــــذ : عبد الواحد نصار

«آباء للبيع أو للايجار»

تأليف: قاسم محمد

- يستند هذا السيناريو على حادثة حقيقية عن سرقة أب احدى الأسر، ثم بيعه فى مزاد سرى.

- المصادر المساندة: مقاطع من قصائد للشاعر المسرحى نجيب سرور.

- الشخصيات الثمان فى العرض يؤديها جميعا ممثل وممثلة، حيث يؤديان المضمون والشكل ووسائل التعبير للشخصيات وايقاعاتها واجوائها وكل مكوناتها الداخلية والخارجية.

- ثمة مغن مع آلة موسيقية يؤدى الأغانى بين حالة وأخرى.

- المنظر: فضاء خالٍ لا شيء فيه سوى الانسان ومصيبته.

- بقعة الضوء المعينة تكشف عن المغنى.

المغنى: الحوت..

الحوت خبأ يونس وحماه

لكنا نبحث فى هذا الزمن الضائع

فى هذا البحر الواسع

نبحث عن ورقة توت

بعد أن اصبح الانسان هو الحوت

وابتلع الانسانُ الانسانَ حتى الموت..

- الممثل الآن فى حالة الأب (جلباب بيتى، طاقية رأس، عوينات).
صوت وجسد الممثل وكل حالته وجوه العالم والخاص، يعبر عن أزمة خانقة انه (الأب) مهتاج، يرتجف ألماً، ضائع فى المكان، يدمدم بكلمات مبهمة، لكنها معبرة تماما. ينبغى أن يركز الممثل تمرينه على اخراج أصوات لا كلمات، أصوات تفصح بدقة ومهارة عن الألم الذى يعانيه الأب.
- الموسيقى تسانده لتخلق الجو معه وتكشف عن البواطن.
الممثلة: (إنها الآن الابنة) (جزعة) بابا ....
الأب: (محترقا) انـ ... تهـ .. يت ....
الممثلة: (تروى) هذا أبى، فى السبعين من عمره .. اليوم .. أصابه خسران كبير...
الأب: لا .. حو ... ل، و..لا..قـ .. وة..الا ... با.... لله....
- ثم يهمهم بكلمات هى أصوات ألم داخلى وحشى، مع ضربات الآلة الموسيقية تصبح همهمة أصوات الأب وضربات الموسيقى أغنية غرائبية شديدة التأثير والتعبير.
الأب: لا ... لا.. لا أ..صد..ق، لا..أر.. يد... أن أصـ ..دق! انه أخى.

!! ابن ...أمي..و...أبي..(يصيح) - لا ..أصدق..!!! - الموسيقى المعبرة تنهى صيحة الأب.

الابنة: صّدق. آن لك أن تصدق أيها الـ ... طيب..!!سليم النية، (غاضبة فجأة) نصحناك كثيرا ..كثيرا ..كثيرا ..كثيرا ..كثيرا ....

- مع تصاعد غضبها تصعد موسيقى وصوت المغنى الذى يكمل أسى صوت الابنة وألمها

المغنى: نصحناك

كثيرا نصحناك أن تحذر...

الأب: لكنه شقى الشقيق، من صلب واحد، حملنا رحم واحد، انه الأخ، السند،المعتمد.

الابنة: نحن نعرفه أكثر منك، لهذا حذرناك أن توكله وكالة عامة مطلقة على أموالك، والمحل، والبضاعة، والرصيد فى البنك.

الأب: (ومعه الموسيقى يهتاجان)

أخى..أخى..أخى..أخى..أخى..أخى..أخى..أخـ..

الابنة: قابيل أيضا كان أخا لهابيل..

الأب:(أقرب الى الرؤية منه الى الأداء التمثيلى).. ما غبت عن المحل

سـوى عشـرين يوما. سـافـرت لاستـشارة طبـيب مـختص فى أمـراض العيون، وعيـونى بدأت تتردى، وهنا فى بغداد حصارات كثـيرة،حصار، حـوله حصـار، وحـولهمـا حـصارات وحـصـارات، تراكم المرض. قلة الدواء، هجرة الأطبا، كـان عليّ أن أنفذ من خرم الابرة الوحيـد، عَمّان، لأرى ما حل بعيونى.

الابنة: (تبكى بحـرقة كأنهـا تكمل حديث أبيـها بحديث كلمـاته البكاء الحارق..)

(الموسيـقى .. تسهم بحصـتها التعـبيرية فى خلق جـو التعبيـر عن الحالة وتأثيرها)

الأب: أعطيت أخى الوكـالة العام المطلقـة التصرف بكل مـا أملك، لأنه أخى أولا، وشـريكى فى المحل التجـارى.. مَنْ غـير أخى وشـريكى من يعرف البيع والشراء والتعامل مع الزائن؟؟ لذلك خولته التصرف..

الابنة: خولتـه قانونيـا، أن يخذلك، ويخونك ويسـرقك، باع محـتويات المحل، وأجّر المحل بخلو كبيـر، وسحب الرصيد كله من البنك والآن .. لا يعلم أحد أين هو الشقيق، الشريك، السند المعتمد؟

الأب: أشتكى...

الابنة: الوكالة عامة مطلقـة، تخوله حقوق التصرف: بيعـاً وشراءً وقبضاً ونقل ملكية المنقول وغير المنقول.

الأب: أقتل...

الابنة: أنتَ؟ ..أنتَ تقتل؟.. أنت الذى ما .... - تبكى بـألم..- معها تبكى الموسيـقى .. وربما آهة حرى يطلقها المـغنى ليشكل ثنائيا منسـجما بين بكاء الابنة وآهته وموسيقاه..-

الأب: أفلـست .. أفلسـت من أمــوالى ومن أخى، أفـلست ..أفلـست ..أفلست ..أفلسـت ..أفلست .. - يهتـاج .. متـصـاعـدا مع تصـاعـد الموسيقى .. ليطلق صرخة وحشية مدوية .. ويسقط فاقدا الواعى-

الابنة: أبى ..أبى..!

ملعون ملعون ملعون .. من يهدم بنيان

ملعون ملعون ملعون..من يلغى الانسان

ملعون ملعون ملعون.. مَن يمسخ كيان

ملعون ملعون ملعون ..من يطفىء ضوءاً فى روح انسان..

المغنى: يا أيها الظلام مرحباً

يا أيها الظلام

يا دربي الذى بلا اتجاه
يا أوسع الدروب للانسان.
لم تفقدوا الضياء يا عمياء.
ان دروب المبصرين زيف. يا هذه الحياة،
يا موطن الطاعون والزنا والخوف..
بنيتى.. بنيتى خذى يدى الى بعيد
فأفضل الدروب، درب ليل
يا ايها الظلام مرحبا
يا ضيائى الوحيد.. - أثناء الاغنية يكون الممثل قد خرج من شخصية الأب الى شخصية الابن-

الابن:(يروى مع الموسيقى) أبى، ونتيجة لارتفاع السكر، فقد البصر كله، وفقد شيئاً من السمع، وفقد كل النطق، وأصاب الشلل الجزئى نصفه الأيمن. - الموسيقى المعبرة تواصل اسنادها للرواة-

الابنة: أبى فقدَ نصفه الأيمن، تماماً كما فقدَ شقَّه الشقيق. عمى باع المحل التجارى الذى قضى أبى عمره كله فى تكوينه وتطويره وبناء سمعته. عمى، شقيق أبى، سرق المال وسرق حياة أبى.

الابن: ولأن أبى لا يستطيع المشى أو النظر أو النطق، فقدْ كنت آخذه معى الى الطبيب. كنت ابقيه أحيانا داخل السيارة، وأترك المحرك يدور وأفتح جهاز التبريد.. ثم أقفل السيارة على أبى وأذهب، مرة لصرف وصفة الطبيب ومرة أصعد الى العمارة إلى الطابق الرابع لأتأكد من وجود الطبيب، ومرة لشراء حاجة....

الابنة: لقد اعتدنا على هذه الحالة .. كما عودونا أبانا عليها. وعند العودة اليه وهو وحيد.. حزين، صامت، كنا نطرق عليه زجاج السيارة عدة مرات الى أن يسمع الطرق بسمعه الضعيف، فينتبه .. ويمد يداً مشلولة.. ويفتح لنا الباب - تبكى-

الابن: آخر مرة أخذناه الى الطبيب، وتركناه فى السيارة، وعندما عدنا اليه.. لم نجد أبى.. ولم نجد السيارة..

الابنة(تخرج من جو الرواية الى الأداء) أين أبى والسيارة؟

الابن: من الواضح ان أحد اللصوص، وربما بقى يرقبنا زمنا ونحن نتردد على الطبيب، عرف طريقة طرقنا على زجاج السيارة وفتحَ أبى لباب السيارة.. ولم يكلف اللص نفسه حتى تشغيل محرك السيارة لأنه كان يدور...

- يعود الى جو الرواية - هكذا .. سرق أبى ومعه السيارة.
الابنة: (وحدها فى بقعة ضوء) أين أبى الآن؟ حى؟ ميت؟ ضائع..؟
- موسيقى .. ثم الأغنية-
المغنى: قد طمسوا سر الانسان
اذ قالوا: حيوان ناطق،
فالأوجب: حيوان سارق
السرقة كانت، لا الكلمة فى البدء
فقد ضبط الشرطة،
فى الجنة حواء وآدم بالتفاحة..
هبط اللصان الى العالم..
فاذا العالم وكر لصوص..!
- اثناء ذلك يكون الممثل قد تحول من شخصية الابن الى شخصية ملازم الشرطة..
- الاضاءة تكشف عن ملازم الشرطة وهو يحمل عددا كبيرا من ملفّات هى قضايا الناس التى لا تنتهى، يصيح أسماء لاناس لا نراهم.. ومع كل اسم يرمى ملف ذلك الاسم الى خارج المسرح.. إما عبر أبواب متحركة

أو شبابيك معلقة.. ترتفع أو تختفى مع الأبواب عند انتهاء المشهد-
الملام: جاسم محمد.. تعاد قضيتك مرة أخرى من البداية.
- يرمى الملف الى الخارج-
عبدالله جبر .. قضيتك ناقصة .. أكمل أوراقها وهاتها - يرمى الملف-
محمد جابر حسين، قضيتك غامضة .. وضّحها وهاتها..
- يرمى الملف-
أحمد محمود.. لا ننظر بمثل هذه القضايا .. اذهب الى مكانها الصحيح..
- يرمى الملف-
- اثناء ذلك تظهر الابنة .. تلاحق الملازم أينما ذهب فى أنحاء الخشبة الخالية لكى تشرح له قضيتها بينما هو يستمر بترديد الأسماء بعصبية متصاعدة ويرمى الملفات...
الابنة: من فضلك حضرة الملازم .. ساعدنى.
الملازم: أنا هنا لمساعدتك تماما ..- يواصل مناداة اسم ورمى الملف-
الابنة: (تلاحقه) .. عجزنا من العثور على أبى.
الملازم: عداوه؟ ..(ينادى اسماً أو عدة أسماء ويرمى الملفات)

الابنة: لا .. ليس لأبى عـداوات .. انه انسـان طيب.. حسن النيـة، مسامح...

الملازم:(يرمى ملفا بعد أن ينادى اسماً..) حسَد..؟(ويواصل عمله)

الابنة: الحسد ..الحسد لا يأخذ سيارة وانسان.

الملازم: (تعبان) أوف.. نعرف خراب النفوس البشرية فى هذا الزمان.

الابنة: أتعبنا البحث عنه جدا .. اتعبنا نفسياً وجسدياً..

الملازم: عفواً آنسة، هل الوالد مصاب بفقدان الذاكرة.

الابنة: لا .. أبداً

الملازم: دارت هذه الأيام مودة فقدان الذاكـرة، أمس جاءنا شاب بعمرك يبحث عن والده أيضـا. والده خرج من البيت وأضـاع طريق العودة الى البيت.. عـجيب، شيخ فى الـ ..ستين أو الـ .. سبعين من عـمره، قضى فى بيته أكثر من نصف عـمره.. فـجأة ينسى الطريق وينسى أين البيت ..و.. يضيع..!

الابنة: لكن أبى لم ينس .. لم يفـقد الذاكـرة .. أبى سُرِق .. - صمت قصير، الملازم يكاد ينفجر ضحكا لكنه يتماسك-

الملازم: حلو ..!!أى والله حلو جداً.. أتقولين سرقوا والدك؟

الابنة: نعم .. سرقوا والدى .. وعمره .. والـ .. سيارة..!
الملازم: مفاجـأة جرمية عـويصة، ترى أى مادة قانونية تنطـبق على سرقة انسان حى..؟
- ينظر اليها بصمت - استمرى من فضلك.
الابنة: بعـد أيام .. من سرقـة أبى، وجـدنا السيـارة، مـفككة، خاليـة من الأدوات و.. مرمية فى ناحية بعيدة عن المدينة، ولا أثر لأبى.
الملازم: عجـيب..! أفهم أن يُسـرق خروف، أو بقرة، أو.. حـصان.. بل وحـتى دجـاجــة، أو كلب من نوع الولف المدرب علـى الحـراسـة. هل تعرفين ما هو سـعر الولف..؟ ستين ألف أقل سعر..! والبـقرة؟.. البقرة وصل سعـرها الى أكثـر من نصف مليون دينار. أمـا الحصان.. فـحسب الأصل والنسب.. أنهم تماماً أن تسرق هذه الحيـوانات.. لكن أن يّسرق شيخ فى السبعين من العمر.. أعمى.. نصف مشلول.
الابنة: بل كامل الشلل! .. وأخرس..
الملازم: أخرس أيضا..؟
الابنة: نعم .. أخرس، لقد فقد كل شىء..!
الملازم: طيب.. مـا تفسـير كل هذا؟ أين رأس الخـيط؟ هل تعرفـين أين

رأس الخيط؟

الابنة: لا..

الملازم: نريد رأس خيط يمكننا الامساك به لنبدأ التحرى والبحث منه.. ثم نحقق لنصل الى.... هل اتصل بكم أحد يريد فدية؟

الابنة: فدية؟ لماذا الفدية..؟

الملازم: ربما يكون الوالد قد اختطف .. ويطلبون فدية لاعادته اليكم.

الابنة: لا.. لم يحصل هذا.

الملازم: يحصل.. لا تقولى لم يحصل، يحصل، وسيحصل، فى الشهر الماضى خطفوا طفلا عمره سنتان وطالبوا بفدية من ذويه قدرها عشرة ملايين دينار.. لكننا حصلنا على رأس الخيط.. أمسكنا به.. تبعناه.. ووصلنا، وأحبطنا العملية وأرجعنا الطفل الى ذويه.

الابنة: فى الحقيقة أنا أشكرك على هذه المعلومات، ولكن نحن.. الآن ماذا سنفعل..؟

الملازم: اذا لم نمسك برأس الخيط، فسيكون صعبا أن أساعدكم.

الابنة: من سيساعدنا، ان لم تساعدونا أنتم..؟

الملازم: ساعدينا بايجاد رأس الخيط .. حتى نساعدك بالوصول...

الابنة: أين سأجد رأس الخيط هذا؟
الملازم: ساعدونا .. تحركوا .. ولو بنصف خطوة، حتى نكمل نحن الخطوة ونكمل الطريق الى نهايته..
الابنة: شكرا..
الملازم: آسف وأهلا وسهلا .. ولا تنسى رأس الخيط..
الابنة: (وهى تختفى) .. شليلة وضايع راسها..!!! - الممثل وهو ينزع عنه بعض قطع ملابس الملازم .. يعود الى شخصية الابن .. ويروى أثناء ذلك -
- كذلك تكون الممثلة قد وضعت فوطة رأس بيضاء ووضعت عوينات طبية على عينيها لتتحول الى شخصية الخالة فهيمة-
الابن: فى أحد الأيام وأنا عاجز تماما فى البيت رن جرس الهاتف، ألو...!
خالة فهيمة: ألو .. ماجد؟
الابن: نعم .. خالة فهيمة؟
خالة فهيمة: عينى ماجد .. واحد من أقارب زوجى .. قال انه شاهد الوالد..

الابن: أين؟

خالة فهيمة: فى سوق من أسواق بابل.

الابن: ماذا يفعل هناك..؟

خالة فهيمة: والله .. لا ابنى .. صعبة ..! لا أدرى ماذا أقول..!!

الابن: قولى .. يا خالة ، طمنينى

خالة فهيمة: ماجد ، شاهدوا الوالد .. يشحذ.. يعنى ..والله صعبة..!..
يعنى ابني، الوالد.. شحاذ.

الابن: أبى .. شحاذ فى السوق..؟

خالة فهيمة: والله صعبة..!

الابن: انت متأكدة..؟

خالة فهيمة: قريب زوجى يقول ويقسم انه شاهد الوالد يشحذ بلحمه ودمه..

الابن: هل كلمه..؟ هل عرفه بنفسه؟ هل سأله..؟

خالة فهيمة: (تخنقها العبرات) لا .. لم يستطع، لأنه عندما بدأ الحديث مع الوالد.. الوالد أمسك بيد قريب زوجى، لكن سرعان ما انقض اثنان من الرجال واشبعا قريب زوجى ضربا واخذا الوالد واختفيا،

الابن: والناس؟ والشرطة؟

خالة فهيمة: الناس تراكضت والشرطة تراكضت .. تقول كأنه يوم الحشر .. الكل يركض ويصرخ .. ويسأل.. ويستفسر، ولكن ليس هناك من مجيب، كما لو انه فص ملح وذاب.

الابن: لا .. مستحيل..! لا أريد أن أصدق. مستحيل أن يكون والدى شحاذاً.

خالة فهيمة: ما أدرى عينى ماجد ... أقول يمكن، صار عند الوالد رد فعل، وأراد أن....

الابن: أن ماذا؟

خالة فهيمة: أن، لا تزعل عينى ماجد، أراد أن ينتقم من شرف العائلة ومن شرف الشقيق الذى كان هو أول من لوث شرف العائلة عندما سرق الوالد أمواله.

الابن: لا خالة فهيمة .. لا تتكلمى هكذا. هل هذا القريب رأى الوالد يشحذ بنفسه؟

خالة فهيمة: لا.. بل كان هناك من يشحذ به.

الابن: كيف يشحذ به؟

خالة فهيمة: يعنى، يدورون به بالأسواق، يحشذون بواسطته.

الابن: سأتجه الآن الى بابل، - لحظة يتجه سريعا الى بقعة ضوء أخرى غير البقعة التى كان فيها، موسيقى.. ثم-

ما فاد.. درت أسواق بابل كلها، أطرافها، نواحيها، ولمدة خمسة أيام.. لكن لم أقع على أثر لوالدى .. كل من أسأله من أهل الأسواق.. من الناس الطيبين، يعطينى أوصاف أبى، والعربة الخشبية.. والشخص الذى يدفعه فى العربة .. لكنهم لا يعرفون أين يوجد.

- تنبثق أغنية المغنى .. الحارة .. المعبرة.. المتقدمة-

المغنى: أين أنا..

بجحر الأفاعى؟

وإذن وداعاً يا ذراى،

يا أيها الفرح الوداع، ويا جناح.

للشمس، للسحب الوداع، وللجراح،

يا جعبتى، ماذا تبقى من سلاح..؟

لا شى..لا شى..لا شى..

غير التلوى والصراخ..!

ترياقك النسيان فى الأسواقْ ،
لكن سوق الحزن قائمة على قدم وساقْ
فى بلاد تركب الصاروخ..
أو فى جزيرة واق واق..!!

- أثناء الأغنية يكون الممثل والممثلة قد عادا الى الرواية .. كل فى بقعة ضوء-

الابنة: (تروى) اليوم اتصل بنا أحد اصدقائنا وأخبرنا أنه شاهد والدنا فى عربة خشب يستعملها الحمالون فى الأسواق .. رآه مدثراً .. رثاً، متسخاً، بلحية بيضاء كثة، وبائسا جداً.

الابن: (يروى) تدفع العربة امرأة .. رثة هى الأخرى، حافية، تشحذ بأبينا وتستعطف المارة، زوار العتبات المقدسة فى كربلاء.

الابنة: أسرعنا الى كربلاء

- تبدأ الموسيقى بمرافقة رواية الاثنين -

- ثمة بقع ضوئية لا تقل عن ست بقع تنتشر على أرضية المسرح ينتقل فيها الممثل والممثلة وهما يبحثا عن الوالد .. الانتقال يتم بشكل سريع.. لاهث .. متدفق.. ضاج..صارخ.. مع الموسيقى المناسبة-

الابن: وصلنا الى كربلاء، وقفنا حائرين .. الى أين سنتجه؟ الى من نتوجه؟

الابنة: من نسأل؟ وعمن نسأل؟

الابن: مسبيين في شوارع كربلاء، ننظر في الوجوه بعيون زائغة.

الابنة: وأنفاس حارقة متلاحقة.

الابن: المرارة تملأ حناجرنا . وأفئدتنا ونفوسنا.

الابنة: ننظر في الوجوه وجها وجها.

الابن: وفي الناس هيئة هيئة.

الابنة: ركضنا الى صحن الحسين المظلوم.. اسرع.. اسرع.. اسرع..

- يركضان الى بقع ضوئية جديدة .. الممثلة في بقعة في مقدمة المسرح ذات لون قدسي خاص.. الممثل في بقعة بعيدة في العمق-

يا أبا عبدالله .. يا شهيد .. يا مظلوم .. أريد والدي منك..

الابن: بحثنا صحن الحسين ركنا ركنا وزاوية زاوية .. وشبراً شبراً .. لم نجده هناك..

الابنة: من صحن الحسين ركضنا الى صحن العباس..

الابن: اسرعي..اسرعي..اسرعي..

- يركضان فى المكان بقوة منتقلين الى بقع ضوئية جديدة المثلة فى ذات البقعة القدسية الضوء-
الابنة: يا بو فاضل .. يا عباس.. يا بوراس الحار× ساعدنا..!
الابن: نركض ونصرخ ..نركض ونصرخ..نصرخ ..نصرخ ..
الابنة: أبى.. أبى..أبى..! من لأبى فى هذه المحنة..؟ يا ناس .. يا .. ياأبناء .. يا عالم...
الابن: لم يسمعنا .. لم نره.. لم نجده .. لم نقع له على أثر.
الابنة: أسرعنا الى مرقد الحر الرياحى..
- انه الآن فى نفس البقعة-
يا حُر .. حرر آبائنا وحررنا من أحزاننا الجارحة حتى أعماق الروح.
الابن: ومن هناك ركضنا الى مرقد الامام على بن أبى طالب عليه السلام.
- تصل هى الى البقعة المقدسة؟ وهى قريب منها فى بقعة أخرى-
الابنة: يابو الحسن يا على .. أريده منك، نبحث لاهثين فى الوجوه، تحت الدثارات، فى عربات الحمالين، فى الدروب الضيقة والطرق الجانبية والزوايا العتيقة...

الابن: نركض ونركض ونركـض .. أعدنا الكـرة مرة ومـرات.. مـا بين المراقد المقدسة..

الابنة: لم نجد أبي.. لكننا بقينا راكضين بلا هدف ولا اتجاه..

الابن: حتى سقطنا منهارين فى شارع العـباس .. عطشى.. جياع، مدماة أرجلنا..

الابنة: مغبرة وجوهنا، مبحوحة أصواتنا،، مجروحة أرواحنا..!

- ونحن على رصـيف شـارع العـبـاس .. تـقدم مـنا رجل يغطى رأسـه بعباءته الرجالية كما تغطى النسـاء رؤوسـهن..-

- يظهر الممثل فى هيئة الرجل المغطى الرأس-

الرجل: سلام عليكم..

الابنة: وعليكم السلام..

الرجل: ما بكم..؟ عمّ تبحثون..؟

الابنة: والدى .. نبحث عن والدى..

الرجل: هو ضاع فى زحام زيارة العتبات المقدسة؟

الابنة: لا .. إنه مسروق..

الرجل: مسروق ..؟ يا ساتر..!

الابنة: وأخبرونا أنـه هنا .. يشحذون به فى هذه الشوارع بعـربة حمالين تدفعها امرأة..

الرجل: (بسرية وهمس..) .. وصلتم..!

الابنة: أين؟

الرجل: بلا استعجال .. تهدى بالرحمن..

الابنة: يا الله .. يا أرحم الراحمين..

الرجل: بنتى .. خـمـسـة وعشـرين ألف دينار، وأدلكـم على من يدلكم عليه.

الابنة: يعنى أنت بدون الخمسة وعشرين الفاً لا تساعدنا ولا تدلنا عليه..

الرجل: أنا أساعد فى المساعدة، أودعناكم.

الابنة: انتظر، هذه خمسة وعشرين ألف .. تكلم.

الرجل: تذهبون الى ابو حدبة، واياكم أن تخـبروه عمن دلكم عليه، أنتم لا تعرفونى.. ولا أعرفكم.. أصلا أنتم لم ترونى...

الابنة: اطمئن.

الرجل: هيا معى لأشير لكم عن بعد على مقره.

- الابنة تبكى-

لا تبكي.. لن تكفري بالدموع عن خطايانا، خطايانا بالاطنان، ونحن مساكين، وان كنا أحيا.. لكن اعلمي جابرك الله .. نحن موتى بلا أكفان. اسمعي قبل أن نذهب أريد منك أن تيممي وجهك صوب الامام العباس واحلفي يمين أن لا تكشفي عن شخصيتي وأوصافي لأبي حدبة.. لأنه غدار..!

الابنة: أقسم..

- تعتيم سريع.. الاضاءة تكشف المغني-

المغني: كما جئت بلا أكفان.

لُقىً للشمس والغربان والذؤبان،

خطايانا بلا غفران..

وكلٌ يسأل الغفران

وممن يسأل الغفران..؟

ولكن فيمَ أذنبنا؟

لماذا دونما ذنب تعذبنا؟

الينا أيها النسيانَ..

فليس لخاطئين بلا ذنبٍ سوى النسيان

سوى النسيان

سوى النسيان..

- الاضاءة تكشف عن مقر أبو حدبة، انه مقر تحت أرضى، متناقض الموجودات فيه، طرق على الباب..

ابو حدبة:(أحدب، مبحوح الصوت) من..؟

الابنة: افتح..

ابو حدبة: شرطة؟..

الابنة: لا .. ناس..

ابو حدبة:(يضحك) ناس؟؟ الشرطة أيضا ناس. ماذا تظنين؟ أنهم أحسن ناس، لكنهم أحيانا يأتون بأشكال وأجناس تشبه كثيرا كل الناس .. بينى وبينك، لكنهم، بالنسبة لى، يبٌقون شرطة.

الابنة: من فضلك افتح الباب.

ابو حدبة: لماذا؟

الابنة: شغلة مهمة - صمت- ما هذا الصمت؟ افتح، - لماذا هذا الصمت؟

ابو حدبة: كلما ساد صمت، يعنى وُلِد شر..! وأنا علىّ أن أتأكد.

الابنة: تأكـد، أنا لسـت شرطـيـة. أنا انسـانة مـعـذبة تبـحث عن انسـان يساعدها، ودلوني عليك لأنك تستطيع مساعدتي.

- يظهر ابو حدبة.. يفتح الباب.. يحك دائما قفاه وساقاه-

ابو حدبة: السُّكَّر ذابحني.. لا يمهلني ولا دقيقة..

الابنة: مرحبا.

ابو حدبة: ماذا تريدين؟

الابنة: حضرتك أبو...

ابو حدبة: حـدبة، قوليها .. مـا أزعل..! (يضحك) هذى حدبة السـعد، حدبة الفأل السعيد، هذى الحدبة كنز لا ينضب!..

الابنة: الله يوفقك .. ويسعدك.

ابو حدبة: لا تقاطعيني، أسطة عبدالله .. جهز لي هذى الحدبة بطريقة لم تؤثر لا على ظهري ولا على أكتافي، عبدالله أسطة ماهر.. مضبوط، يده من ذهب، يلوي أقوى ساق ويجعلها كسيحة في ظرف ساعة زمان.

الابنة: سيد..

ابو حدبة: ابو حـدبة.. قوليهـا، ما أزعل، هذى الحـدبة، كانت في وقتـها مودة، تستدر العطف حتى من الصخـر الجلمود. ما وفقني الله الا عندما

عملت هذى الحـدبة، والآن أنا مسيطر على سـبع عشرة منطقة للشـحاذة يجرى العمل فيها على مدار اليوم .. يعنى أربع وعشرون ساعة فى اليوم .. بثـلاثة شفتـات ×، مدة كل شـفت ثمـان ساعات، والآن أنا صـاحب أملاك وأمـوال ومشـاريع، مما مسح هذه الحـدبة فى عيـون الناس، وهون علىّ الأمر. أنظرى ..

- يستدير عارضا حدبته على الابنة

- ها.. ما رأيك بمنظرى؟ هل أنا قبيـح؟ ها..؟ تكلمى لا تخافى.. عبرى عن رأيك .. أنا ديمـقـراطى.. مـا أزعل، نعم الديمـو.. قـرا..طيـة يعنى احـترام الـرأى الآخـر..! بعـدين لماذا أزعل أو أغـضب.. حـرية الرأى لا تخيف .. قولى.. هل منظرى مُنفّر..؟

الابنة: الـ.. المهم .. جمال الانسان فى روحه، فى أخلا..قه.. فى....

ابو حدبة:(يصـرخ فجأة بوحـشية) العـن أبو الروح على أبو الأخلاق .. منافقة..

الابنة: أنا؟..

ابو حدبة: انت تخدعينى..

الإبنة: لا .. استغفر الله .. أنا هنا ....

ابو حدبة: كيف وصلت الى هنا؟

الابنة: من يسأل لا يضيع.

ابو حدبة: لا يا حلوة .. السؤال وحده لا يوصلك الى هذا المكان، انت دفعت، لمن دفعت؟

الابنة: لا..

ابو حدبة: دفعت.. دفعت لأحد الحقراء .. من الذين يبيعون حتى أمهاتهم مقابل الدنانير، أنذال .. لا قيم ولا أخلاق ولا وفاء .. - يهدأ تماما ويتغير - أنت دفعت- الكذب عيب وانت ابنة عائلة..

الابنة: دفعت.

ابو حدبة: كم؟

الابنة: كثيراً..

ابو حدبة: لمن؟

الابنة: (تصرخ بوجهه) كفى .. لن أتحدث فى الأمر .. لأنى حلفت يمينا بالعباس أن لا أتكلم..

ابو حدبة: بالعباس..؟ دخيلك يابو فاضل..! طيب.. خلصينا.

الابنة: من فضلك .. بلا عصبية.

ابو حـدبة: وانتِ بلا عـصبيـة ..- يرق- ولو صـرت جمـيلة لما صـرتِ عصبية..!

الابنة: المهم.. أنا هنا من أجل..

ابو حدبة: من أجل أن تصبحى واحدة من جماعتنا..؟

الابنة: لا .. ليس من أجل هذا.

ابو حدبة: ولمَ لا؟ وعـيونك هذى الحلوة .. بظرفيـة شهر زمـان أجعلك أغنى الغنيات بين البنات.

الابنة: ولكنى لم آتِ من أجل هذا الأمر..

ابو حدبة: أخليك تتلاعبين بالعملات المحلية والأجنبية لعب..

الابنة: لكنى لا أريد أن أصبح واحدة منكم..!

ابو حدبة: لا تخافي .. لن تجرى لك أية عمـلية تشوه شكلك .. اسمعى: أنا أعشق الابتكار والتجديد، الآن تخيلى معى.

الابنة: ماذا أتخيل..؟ ماذا أتخيل وأنا فى طريقى الى أن .. أتخبلّ..!؟

ابو حدبة:لا .. أرجوك .. لا تتخبلى.. تخـيلى فقط نفسك بجسمك هذا .. وصوتك هذا.. ملفوفـة بعباءة سوداء.. أدرّبك على طريقة لفـها حول المناطق المثيرة من جسمك..

الابنة: أرجوك .. الله يخليك.. استمع وأعرف سبب مجيئى اليك.

ابو حدبة: تستحين..! لا تستحى، الشحاذة الآن قبلة الأنظار .. هل تعرفين يأتى الىّ أحيانا .. أساتذة جامعة من حملة الدكتوراه..

الابنة: غير معقول..

ابو حدبة: معقول ونص .. لا تستعجلى يأتون الىّ متنكرين يريدون أن أعلمهم فن: اعادة التجسد فى شخصية شحاذ مؤثر .. مستدر للعطف..

الابنة: أساتذة جامعة، حملة دكتوراه؟

ابو حدبة: ثقى.. لا أكذب عليك، ألم تلتقى بسائقى تاكسى من حملة الدكتوراه..؟

الابنة: نعم .. التقيت .. عدة مرات..

ابو حدبة: خلاص .. المسافة ليست بعيدة على أستاذ جامعى مفلس محدود الراتب الشهرى، وبين سائق تاكسى لدى مالك جاهل، وشحاذ متنكر جيدا يقف عند ترافك لايت فى عتمات الليل.. فلماذا يا حلوتى تكثيرن على نفسك الانتماء الى عالمنا المثير.

الابنة: من فضلك .. أنا هنا ..

ابو حدبة: تستحين، ثقى اذا بقيت تستحين، فستبقين متخلفة.

الابنة: ولكنى هنا من أجل أبى..

ابو حدبة: (يصرخ) لا تقاطعينى وأنا فى حالة التجلى - يهدأ- لن أسمعك ان لم تسمعينى حتى الآخر، أين توقفنا؟..

عند التخيل .. اذن تخلى: عباءة سوداء، وبوشى أسود، يغطى الوجه ويخلق حالة من الغموض تزيد حب الاستطلاع ومعرفة المخفى، وصوت ناعم.. ناعس، يزيد رغبة اكتشاف المخفى حرارة وشهوة..

الابنة: يا إلهى...!

ابو حدبة: لا تنسى القفازات السوداء .. كل شىء أسود، ومن لبس السواد.. فقد سبى العباد..!! عند بداية الليل الأسود، سيثير هذا الشكل الأسود، حتى الحجر..! إعلمي بأن المخفى مرغوب...

الابنة: الله يطول عمرك .. ليس هذا سبب مجيئى الى هنا...

ابو حدبة: من فضلك .. أنا فى لحظات التجلى، أمارس أحب شىء الى نفسى .. الحديث عن عالم الشحاذة .. عبثاً تقاطعين ان لم أنه حديثى الحميم الحبيب..

- لحظة صمت .. تبكى الابنة بصمت-

كما قلت المخفى مرغوب .. ومحرك للقلوب .. لا تنسى هنا نعال

ممزق.. وجوارب سوداء متشققة هنا وهناك، تظهر مساحات بخيلة من بياض الساق ..! يا الله...!!! ثقى حتى حديد السيارات سيحن ويرمى لك المبالغ بلا حساب..

- الابنة تهتز بكاءً مراً صامتاً-

أوه .. عدنا الى مؤخر البشرية .. عدنا الى البكاء، البكاء داء.. تخلف..، ياما بكينا.. ماذا حصلنا..؟ ها..؟ تحررى العن أبو الجوق.. من تحت ليفوق × ..!! انتى أدعوك بهدوء أن تتصورى معى هذا الشكل الأسود.. المخفى.. المثير عند ترافك لايتات المدينة .. شيء مثير، رهيب والله رهيب مبتكر، جالب للعطب، محرك للقلوب المتحجرة، الطايح حظها..!

الابنة: من فضلك.. لو تسمعنى للحظة واحدة..

ابو حدبة: أنهى حديثى أولا .. لا أستطيع السماع .. أنا أتحدث فقط، ثقى لو نفذتى ما أقول مع تدريب بسيط ومركز تحت يدى، ثقى ستحدثين انقلابا فى عالم الشحاذة الذى أصبح مملاً ومكرراً وميتاً.

- تنتابها لحظة رغبة بالتقيؤ.. فتسرع الى جردل ماء لتغسل وجهها .. بصخب وغضب-

الابنة:(تـصـرخ .. مـبـلـلة الوجـه واليـدين والشـعـر..) اسـمع..!
اسمع..اسمع..
- تتصاعد صرخاتهـا .. ثم تهدأ .. يسود صمت- أنت قبل كل شيء ..
انسان ، انـ..سا..ن..! تفهم ما معنى انسان..!
ابو حـدبة: لماذا لا أفـهم؟ أفهم جـيـدا مـا الانسان .. بل وأفـهـم تحـريك
عواطف الانسـان أنا مدرب على الخوض فى انسـانية الانسان، وأقـترح
عليك كل ما اقترحت .. كانسان، نعم أنا انـ..سا..ن..
الابنة: طيب .. اذن اسمعنى.
ابو حدبة: لو تسـمعينى فـقط الى النهاية .. والله لما خـسرت شـيـئاً وربما
سـتربحين - يسود صمت عمـيق- جميل .. الصمت فيه فائدة أريدك أن
تعرفى بأن عـملنا ليس سهلا، يعنى هو ليس وقـفة بليدة، ومدة يد غـبية،
وطلب صدقـة مقرفـة..! لا.. هنا عمليـات شائكة، ومعـقدة، لماذا؟ لأنه
كلما ازداد الانسان ثراءً، كلما ازداد قلبه تحـجرا، وروحه تصحرا. - يرن
جرس الهاتف، يخرج جهاز تلفون نقال..
- ألو..؟ من ؟ (يصـبح صوته هامسـاً .. سرياً ، جـيد (فجـأة) طيح الله
حظك..! ألف مـرة أقـول لكم أن لا تتـأخـروا عن الشـغل ولا دقـيـقـة

واحدة..! لماذا؟ لأن الدقيقة قد تعنى الملايين ..ربحا أو خسارة، عفن ابن العفن .. الوقت فلوس - يصيح - فلوس ..! إبن اللاصامت ولا صمت× لماذا تأخرت؟ (فجأة وهو يسمع.. يرق صوته للابنة) العفو عينى .. هذا الفولكلور متطلبات الشغل مع هؤلاء أولاد القحـ ..العفو.
- يعود للهاتف - فاتت خمس دقائق تعرف كم تساوى؟ العن والديك اذا لم تصل الى محل المزايدة فى الوقت المناسب، احصل لى على البيعة، لا تضيع ولا ثانية واحدة.. الثانية الواحدة يعنى قلوس..
- يصيح- فلوس.. اسمع .. اسرع وزايد .. واذا اقتضى الأمر ادفع .. ارشى .. رش .. يلله اتوكل.
- يغلق التلفون - أنا آسف .. سمعت منى بعض الكلمات .. تفضلى .. هذا النذل خرب علىّ حالة التجلى - أسمعك-
الابنة: الله يوفقك .. أنا أبحث عن أبى.
ابو حدبة: أبوك؟؟ يا ساتر سترك، أبوك هنا معنا..؟
الابنة: أظن ذلك..
ابو حدبة: ما هو؟ من هو؟ شحاذ..؟
الابنة: لا أعرف

ابو حدبة: دلال؟

الابنة: لا أعرف

ابو حدبة: حامي..؟

الابنة: لا أعرف

ابو حدبة:: حرامي؟

الابنة: لا أعرف

ابو حدبة: مدرب شحاذين.. عراك..؟

الابنة: لا أعرف.. لا أعلم شيئا عن هذه الأشياء التى تقولها، أخبرونى أنه من المحتمل.. أن تعرف أنت مكان أبى..

ابو حدبة: ماذا يفعل أبوك؟

الابنة: الآن .. يدورون به ،، يشحذون به فى الأسواق.. ودلونى عليك، على حضرتك .. قالوا انك تعرف كل شيء.. لأنك صاحب....

ابو حدبة: كفى.. كفى ثرثرة .. أعرف..؟ ماذا أعرف..؟ من هذا النذل ناكر الزاد والجميل الذى دلك على..

- يرن الهاتف مرة أخرى - ألو.. ها علوان .. ما به هذا الوجه الجديد؟ يرفض تشويه وجهه..؟ لماذا؟ .. دا.. يريد أن يتزوج.. الحق معه، اذن

أقنعه بعملية لوى الساق .. لماذا يرفض، هل سيتزوج بساقه..؟
- يضحك بصخب.. ينظر الى الابنة..
- العفو أحيانا تأتى الكلمة ولابد من قولها، اسمع علوان اذا بقى هذا البطران يرفض اصرفه مع التحذيرات المناسبة حتى لا يفضحنا..! يا علوان.. ألف مرة قلت لكم بأننا لسنا هنا تكية للكسالى، لا أريد مدللين .. أريد ناس تشتغل .. تتعب.. تعرق، ناس يستفيدون من كل ثانية من ثوانى الشفت الواحد .. - يصيح فجأة- لأنى أدفع الألوف .. أدفع للى يسوى والمايسوى..! لا تعطلنى علوان تصرف؟ اسمع علوان .. ايرادات منطقتك هذا الأسبوع جاءت اقل بنسبة (٧,٥) بالمئة عن ايرادات الأسبوع الماضى، ما السبب تابع لى الأمر، واكتشف أين الخلل.. ولا ترحم من يسرق أو يتلاعب أو يخفى شيئاً من الايرادات - يغلق التلفون-
الابنة: أقول ربما حضرتك تعرف شيئا عن أبى، انه من عائلة معروفة ورب عائلة معروفة...
ابو حدبة:: (يصرخ) ونحن ما بنا؟ ما نحن .. ألسنا أبناء عوائل معروفة..؟ هل خرجنا من ثقب فى جدار..؟ نحن أيضا أرباب عوائل

وأحسن العوائل..

الابنة: العفو .. ما أقصد..

ابو حدبة: افـهمى .. لا عيب فى مهنتنا، هى والدعـارة من أقدم المهن فى تاريخ البشرية، لكننا نحن أشرف، لأننا نحارب الثراء المتراكم .. نحارب احتكار الثروة..!

نعم ، نحن نحارب تراكم الثروة عند المراهقين، أغنياء آخر زمن .. نكسر طوق البخل والأثرة والأنانـية، هذه الأمراض المسـتشرية عند أغنيـاء آخر زمن، انهم يفرخون مثل الفطر .. كل ساعـة مليونير.. مليونير الى جانب مليـونير، المهم نـحن لجعلهم، بكل الأسـاليب والأشكال.. والوسـائل .. وبخطط محكمة لجعلهم يعطون .. يمنحون يسخون..

الابنة: هذا كلام عظيم .. لكننى هنا من أجل أبى.

ابو حـدبة: أعرف.. يا حلـوة ..! لكنها فـرصـة لى أن ألتقى مـثـقفـة من الجانب الآخر من الحـياة، لأشرح لها بواطن عالم الجهـة المقابلة لها .. أنا هنا أدير مدرسـة، أعلم كل أنواع وسائل، تليين القلوب اليـابسة .. يعنى أعلم .. النواح .. البكاء .. الـصمت المعـبـر.. تقـاطيب الوجـوه المعبـرة المؤثرة .. الناظرة بصـرامـة.. وكـاشـفة عـن الحرمـان، يعنى اضـافـة الى

قاموس كامل من الكلمات المؤثرة فى القلوب المتحجرة.
الابنة: أرى عالمكم .. صعب وقاسى..
ابو حدبة: عالم قاتل، وسائلنا نفسها هذه .. باتت غير خالدة وغير دائمة .. فهى سرعان ما تستنفد نفسها وتصبح تافهة ومملة .. لذلك نلجأ من أجل التجديد وادامة السيولة الى اناس مميزى الشكل، مثلا .. رجل أشيب، أعمى.. فاقد الحركة والنطق..
الابنة: (تصيح) أبى .. هذا أبى..
ابو حدبة: اسمعى..! هذا الأشيب يجلس بمهابة وصمت .. يحمل على وجهه تعابير أكداس من هموم الأعوام . انه رمز من رموز الحزن الكبير.
الابنة: هذا هو أبى.
ابو حدبة: ما شأن أبيك بكل هذا؟
الابنة: أبى مفقود ..مسروق.. ونحن نبحث عنه حتى قيل لنا ان امرأة تدور به فى الشوارع تشحذ به بعربة حمالين من الخشب.
ابو حدبة: هذا الأشيب الأعمى الأخرس.. أبوك؟
الابنة: ضاع .. وسرق.. كطفل لا يستطيع الكلام.
ابو حدبة:استغفر الله..! عرفت الآن. المرأة التى تدفع أباك فى عربة: هل

تعرفينها؟ تعرفين اسمها..؟

الابنةك؛ لم أرها .. ولم أسمع باسمها.

ابو حدبة: عفتة..

الابنة: نعم؟

ابو حدبة: عفتة .. اسمها عفتة، افضل من يطبق دروسى، وينفذ تدريبى، وأحسن من يبتكر لى وسائل استعطاء جديدة تفتت الصخر، انت متأكدة يا حلوة بأن هذا الأشيب. الجثة بلا حياة، هو أبوك؟

الابنة: الوصف الذى تفضلت به الآن ينطبق تماما على الوصف الذى سمعناه فى السوق.. وكلا الوصفين يتطابقان مع وصف أبى، أعمى.. أشيب، صامت بحزن، انه أبى..

ابو حدبة: تفضلى، استريحى، الآن ستتكلم بالبزنس.

الابنة: بزنس..؟

ابو حدبة: طبعا بزنس .. أم تظنين انت الأخرى بأننا مجرد صوت مكسور ويد ممدودة نستدر العطف كيفما كان..؟لا، نحن بزنس...

الابنة: أول مرة أسمع ان الشحاذة بزنس..

ابو حدبة: بزنس راقى.. متطور، لا تستغربى، هل بقى شىء فى حياتنا لا

يخضع للبزنس.. ابتداء من بيع الحذاء، وبيع النفس، وبيع الأخلاق.. وانتهاء بأجمل الأشياء .. مثل الحب مثلا .. بزنس عينى .. بزنس..!

- يهتف بصوت عال - فليحيا البنزس .. شوفى.. أبوك وأمثاله .. يشبهونه أو يختلفون عنه صاروا بالنسبة لنا وسيلة من وسائل البزنس.

الابنة: (تحتج غاضبة) أبى.. المريض، المنكوب، المطعون بشكل غادر..

ابو حدبة: على راحتك .. لا تغضبى ولا تصرخى، هذى يا حلوة مسألة شائكة ومعقدة وممتدة .. تمتد بين المدن والشوارع والتقاطعات الضوئية، ونحن كبزنس، نشترى ونبيع ونقايض، ونؤجر .. ونستثمر ونتشارك، وبشكل خاص اذا كانت وسيلة الشغل - البزنس، ذاتاً مؤثرة.

الابنة: وأبى يعتبر فى شغلكم ، ذاتاً مؤثرة؟

ابو حدبة:جدا، لدى عيون عديدة فى العديد من الأسواق والحارات، والتجمعات السكانية الكثيفة، احدى هذه العيون صادت لى هذا الأعمى الأشيب الذى تدعين أنه أبوك.

الابنة: إنه أبى والآن أريد أن ....

- ابو حدبة يضرب شيئا بقوة بعصا .. فتسكت الابنة خائفة-

ابو حدبة: صبرك علىّ .. افهمى.. لا تهددى ولا تصرخى، صراخك فى

وجـهى لا يخيـفنى- صـمت- الله .. الصمـت شىء جمـيل، حلو، فى الصمت والتـأمل يمكننا أن نفهـم . اعرفى امـتداد وتشابك القضـية .. ثم طالبى بما تريدين. أبوك هذا الذى تطالبـين به، كان .. أباك، اما الآن فـهو شىء آخر.. انه مـوضوع صفـقة، انه بضـاعة خاضـعة لمتطلبـات البزنس واضح..؟ أبى،أبى.. أبى؟ ثم مـاذا؟ أنا نفسى كـنت أنا .. ولكنى لسنين عديدة لم أعد أنا .. بل حولونى الى .. آخر .. حولونى الى .. ابو حدبة، تعرفين اسمى..؟

الابنة:لا.

ابو حدبة: ولا أنا أعـرف اسمى .. كان لى اسم افـهمى بنتى.. أبوك الآن ليس أباك.

الابنة: رحمتك يا الهى.. الى أين سنصل..؟ - تبكى-

ابو حدبة: هل تظنين بأنك وحدك تجيدين البكاء؟ وحدك لك عواطف .. وقلب .. وحنية؟ نحن أفـضل من يجيد أنواع البكاء وأفضل مـن يجسد أنواع البكاء .. وأفضل من يستدر العواطف.. اسمعى كى تحكمى عندما ابلغتنى احدى عيون المبثوثة بوجود أبيك أسرعنا اليه فى سوق مريدى × .. كان هناك، فى احـدى الغرفـة السرية، ما أن وقـعت عيناى عليـه حتى

أيقنت بقوة تعبيره وقوة تأثيره .. شكل تجسيدى رائع .. سمت عميق، يحكى ألف مأساة ومأساة، وشعر أشيب أبيض منكوض .. ملك أضاع مملكته...

الابنة: نعم .. أنت محق .. انه ملكنا الذى أضاع مملكته وملكه وجنى المرارة والمصيبة..! ماذا كان يفعل فى غرف سوق «مريدى» السرية؟

ابو حدبة: كان مباع لهادى الأعور.

الابنة: أبى .. مباع؟

ابو حدبة: مباع .. الأعور اشتراه من جماعة .. ثم عرضه بمزايدة على جماعة وصلنى الخبر .. أسرعت الي هناك .. تزايدنا عليه .. لكنى أصررت على الحصول عليه .. وبالفعل صار من نصيبى.

الابنة: كيف يعنى صار من نصيبك؟

ابو حدبة: يعنى اشتريته.

الابنة: اشتريت أبى..؟

ابو حدبة: بالضبط .. وبمزايدة أصولية ..حتى أنى دفعت الدلالية لابن عصمان الدلال.

- الابنة تخنقها أزمتها .. وتشرق بغيظ أو ببكاء حار-

الابنة: استغفر الله .. يا رب.. يا خالق الانسان فى أحسن تقويم .. رحمتك على الانسان .. - تصرخ بوحشية- يا ... الله... (ثم تلاحقه ضاربة اياه صارخة) اين الكلب .. اشتريت أبى .. (هو يركض ويصرخ ويختفى)

ابو حدبة: لا يا حلوة .. بلا هلوسة .. القضية بالنسبة لنا بزنس اعتيادى - أنتم لا تعرفون خفايا الحياة وزواياها المعتمة - افهمى.. هذه قضية مال ..أنا نفسى تعرضت أكثر من مرة للبيع والشراء والايجار .. والاستئجار. مرة قايضنى ملك الشحاذين الذى كان يشغلنى مع شحاذ أحسن منى .. ولكى أتساوى مع ذلك الأحسن منى .. أضاف إلىَّ كلب لكى يحصل على ذلك الشحاذ، لماذا تذهبين بعيدا .. أبطال كرة القدم .. نعجب بهم ونتبهر بألعابهم .. لكنهم بضاعة فى سوق.. لكل منهم سعر معين.. انهم ليسوا بشرا.. بل بزنس يجلب فلوس.. والويل لمن ينكسر أو يمرض منهم .. والله.. ياكله الذباب والدود.. دون ان ينتبه اليه أحد..! هذى القضايا يا بنتى، قضايا مال.. والمال قضية شائكة ومعقدة وسُبلها .. أوه..ه..ه...! عديدة ومديدة - صمت قصير ..- اسمعى.. يشهد الله .. أنت كسرت قلبى عليك .. سأتفاهم معك لأنى لا أريد لهاتين العينين

الحلوتين أن يذبلهما الدمع..! الدمع ملح كافر.. وانت عيونك قيمر وعسل..!!

- الابنة تضحك .. هو أيضا يضحك .. وتتصاعد الضحكتان بنشوة وانسجام-

ابو حدبة: اضحكي .. هذا المكان ما شاف ضحكة أنثى زمان .. أنظرى كم من المطر نزل عندما ضحكت اضحكي .. وبللى حياتنا المليانة فلوس .. لكنها ناشفة .. يابسة..!

الابنة: أنا هنا من أجل أبى وليس من أجل حياتك اليابسة.. نرجع للبزنس.

ابو حدبة: أحسن، أنا أيضا أريد أن أخلص من هذا الموضوع..!

الابنة: تفضل .. أنا مستعدة للسماع والتفاهم.

ابو حدبة: جيد، نحن يا ابنتى أحيانا نشترى

الابنة: تشترون بشرا..؟

ابو حدبة: طبعا، ألم تسمعى بسوق المتاجرة بأجزاء من جسم الانسان؟ كلى .. عين .. قلب .. أمعاء..! توجد أسواق لكل شيء .. وهذى الأسواق قضاياها شائكة ومعقدة، ما علينا، أنا، والله يشهد لا أتاجر الا

بالبشر الكامل، لا أقطع ولا أجزىء.. حرام. أنا اختصاصي: شيوخ .. أطفال .. بنات ضائعات طالعات عن الطريق .. وأحيانا نؤجر بيومية أو بحصة معينة أو بمبلغ مقطوع.

الابنة: وأبي..؟

ابو حدبة: أقسم لك اشتريته، أعجبني جدا.. هذا الملك الضائع الذي أضاع ملكه ومملكته..! أعجبتني تقاطيع وجهه الأبوية .. ميلان رأسه الأليم، انكسار هيئته .. انه تعبير تام .. عام عن النهاية المأساوية لسقوط الانسانية وتعهرها. الى الآن أذكره .. كومة متداعية .. مهدمة .. مهشمة .. لكائن كان انسانا.

الابنة: بكم اشتريته؟

ابو حدبة: صار عليّ .. بربع مليون دينار نقدا - صمت- الله الصمت مرة أخرى .. ها نحن نصمت معا صمت الادراك..! اسمحي لي ان اخبرك بأني صاحب رأسمال وهذا الرأسمال يجب ان يتحرك، يشتغل يجيب رأسمال آخر ..! لهذا استثمر رأسمالي بشغلات عديدة .. شائكة ومعقدة .. ومن ضمن هذي الشغلات هذه الشغلة التي نحن بصدد التفاهم بشأنها.

الابنة: أين أبى الآن؟ أجبنى دون أن تجعلها قضية شائكة ومعقدة.
ابو حدبة: أبوك مع عفتة .. هذى التى تدفعه بعربة حمالين من الخشب.
مرات أمزح معها وأناديها.. عفطة .. - يضحك بصخب - عفطة...!
عفتة هذى قاتلت من أجل أبيك عندما عرضته للايجار، حتى فازت به
من بين عشرة مؤجرين تنافسوا على تأجيره منى..
الابنة: (تصرخ مرة أخرى .. وتضرب أبا حدبة بشىء .. هو يهرب ..
تطارده فى المكان) ابن الكلب .. حقير .. نذل .. مجرم.. تشترى أبى ثم
تؤجره.. وتجعل منه بضاعة.
ابو حدبة: ها قد عدت الى الهستيرية والغضب والبكاء..
إهدئى كى تفهمى.
الابنة: أين عفتة هذى..؟
ابو حدبة: انها لا تركن الى مكان واحد .. تدور وتدور وتدور. شاطرة،
تجيب أحيانا فى الواحد أكثر من عشرين الف دينار محصول.
الابنة: وهذى العشرين ألف لك وحدك..؟
ابو حدبة: لا .. استغفر الله .. نحن لسنا مثلكم نغمط حقوق بعضنا ..
وناكل بالحرام أموال أخوتنا ..حرام. بالنص بينى وبين عفطة..!! لكن

الأكل والشرب والمنام تتكفل به العفطة من حصتها فى الايراد.
الابنة: أين أجد عفتة الآن؟
ابو حدبة: دورى فى الأسـواق .. لا تكلى ولا تملى .. صبـري مثل عفـتة تجدينها.
الابنة: سأذهب للبحث عن عفتـة مع أخى الذى تركته فى السوق يبحث وحده.
ابو حدبة: ستعودين الى ـ لا تـنسى يا حلوة انه كلفنى مع الدلالية أكـثر من ربع مليون دينار. - تذهب - انتظرى عندى طلب افهميه بدقة وحذر أرجوك بلا شـرطة وحكومة، حـتى تمشى القضـية لا شـائكة ولا معـقدة فهمت.
المغنى:(فى بقعة ضوء وحده)
الليل اخطبوط،
مدينتى فى الليل تدعى الهدوء
كقطة جريحة فى البرد
مدينتى أبراج،
والليل كالكرباج،

مشيت طول اليوم
كما مشيت اليوم
فى الليل والنهار
بغير مأوى، يا مدينة الجراح ..
هذا الهدوء مصطنع
والوحش يستريح،
لكى يقوم فى الصباح،
يستأنف الهجوم..
الليل والنهار: اخطبوط .. اخطبوط..!
- الممثلة الآن تؤدى دور عفتة - تدفع أمامها عربة حمالين من الخشب .. فيها كتلة بشرية مغطاة -
عفتة: المال مال الله .. السخى حبيب الله.. هذا غريب ابن جاه .. أبو جاه .. من اصحاب الجاه .. دارت عليه دورة التيه فتاه..!
عمى الدنيا أعماه .. وأخرسته الحياة .. يا أهل الله .. فى سبيل الله..
ساعدوا أعمى يسبح فى عماه لله .. لله .. لله .. لله ..... ارحم يا انسان .. أخاك الانسان فاقد البصر والحركة واللسان ..

الابن: (يصيح) عفتة ...! تتوقف عفتة -
عفتة: من أنت؟
الابن: أنا ابن هذا الرجل النائم فى العربة.
عفتة: (تحاول الهرب .. يمسكها مع العربة..) اترك العرب .. نذل .. حقير .. محتال حرامى..! - تصيح - حرامى .. حرامى .. حرامى يريد سرقة العربة..
الابن لست حرامى .. هذا أبى فقدناه منذ شهر..
عفتة: اتركنى .. اترك العربة .. ليس قوتك - تصبح العربة والكائن النائم فيها موضوعا للجر والعر والشد بين الاثنين وبشكل قاسٍ ووحشى جدا - انت شاب قوى وأنا عجوز ضعيفة على باب الله..
- تسقط على الأرض .. تتشبث بالعربة - الابن يسحلها جرا هى والعربة .. فى عدة دورات فى المكان وسط صراخها المختلط مع السباب والشتائم والصيحات المتهسترة ..- عينى .. اسمع .. اذا تريده حتى تدور به فى الأسواق تعال نتفاهم ونتفق.
الابن: على ماذا نتفق؟
عفتة: على السعر .. مثلما أجرته من أبو حدبة، أؤجره لك .. انت فقط

زيد على السعر ثمن الخلو الذى دفعته فوق ثمن الايجار.
الابن: عن أى ايجار تتكلمين؟
عفتة: ايجار الشايب، لقد كلفنى هذا الرجل الكثير، عدا الخلو، الخلو خمسة وعشرين ألف دينار، اضافة الى اطعامه ومنامه ومداراته، كل هذا يكلف كثيرا فى هذا الزمن الحامض..!
الابن: مجرمة .. حقيرة..
عفتة: ابنى .. دفعت تأمينات لأبو حدبة عشرات الألوف .. ومنذ ان استلمته حتى اليوم لم أجن ربع المبلغ الذى دفعته ..! والآن تأتى أنت لتقول لى .. مجرمة حقيرة .. هذا أبى..!؟ بطران..!
الابن: أبى، هذا أبى وسأسفح دما لأسترده.
عفتة: لا حول ولا قوة الا بالله .. من أين هذه البلية. انت تهدد بسفح الدم؟
الابن: سأسفح دم كل من يقف فى وجهى..
- عفتة تخرج هراوة مزودة بقطعة حديد ومليئة بالمسامير -
عفتة: جرب يا أجرب .. أنا أيضا سأدافع عن مصدر رزقى ضد أى كان اذا لم تبتعد عن هذا المكان .. سأضرب هذا الشايب برأسه وأؤذيه ..

وستتسلمه جثة فاقدة الحياة.

- تقترب بهراوتها من رأس الأب - ابتعد ..

- لحظات توتر بينهما - ابتعد من هنا .. - ترفع الهراوة -

الابن: انتظرى، فكرى .. هناك الشرطة والقانون..

عفتة: هذا الكلام ينفعك وحدك، اذهب الى القانون، سآخذه وأخفيه ولن يستطيع ايجاده أحد .. حتى ولا شيخ الشياطين نفسه، اذهب من هنا والا آذيت هذا الشيخ..

الابن: عفتة .. أرجوك افهمى مشاعرنا..

عفتة: طز .. (تعفط بقوة ووحشية ..) مشاعرهم ..؟ عن أية مشاعر تتحدث؟ لعنة الله عليكم وعلى مشاعركم، تضيعون أباكم .. ونحن نبتلى..! خلصنى .. نتفاهم أم نتعارك..؟

الابن: طبعا نتفاهم..

عفتة: أحسن من سفك الدماء .. شبعنا سفك دماء! اسمع زين..! احدنا غالب والآخر مغلوب .. هذا هو القانون الحقيقى السائد الآن ..! وأنا لا أريد أن أكون المغلوب .. الى جهنم وبئس المصير بكل مغلوب ابنى .. صرفت كثيرا على هذى الشغلة.

الابن: ان شاء سنعوضك كل ما صرفت.
عفتة: هذا الكلام حلو .. كمل.
الابن: ندفع لك..
عفتة: مائتى ألف دينار .. لى وحدى.
الابن: الله أكبر .. ندفع مائة.
عفتة: مائتى ألف.
الابن: مائة وخمسين ألف.
عفتة: مائتى ألف دينار ولا فلس أقل، ألا تخجل تساوم على أبيك؟
الابن: لا أساوم .. ولكن أريد أن أرجعه الى البيت الى الأمان كأى انسان بسيط فى هذا العمر له أولاد وبيت وعائلة وسقف يؤويه ويحميه، ألا تحنين أنت نفسك الى بيت آمن..؟ الى أمسية بيتية، مهما كانت رتيبة ومملة، لكنها انسانية .. حميمة .. طيبة، وحنون؟
- عفتة تنظر اليه .. تتغير ملامحها القاسية الى الاسترخاء .. يتغير كل شيء فيها .. من الضرورى هنا أن تشتغل الممثلة على العضلة والصوت .. بحيث يصبح الشغل الداخلى هو الأهم .. صوتها الآن حنون، هادئ مسترخى .. والأهم .. انه انسانى جدا .. -

عفتة: بيت ..؟ حنان..؟ أمـان..؟ أمسية بيتيـة؟ - تضحك برقة ومودة - يا رب الرحمة والبركة والخـير..! تعتقد يا ابنى .. أنا لا أريد أن أهدأ من هذا الدوران القـاتل .. المهـين ..المخـزى .. وأنا فـى هذا العـمـر، فى الأسواق .. أستنشق هواء الزبالة وروائح المباول..؟ - تخنقـها عبراتها - هل تعـتـقـد بأنى .... لا أملك .. أهل وعـائلة وأبـناء..؟ - تردد بعض أسمـائهم .. ثم فجأة - اسـمع .. لا اريد ان ابكى فأذل نفـسى أمامك - تعود الى الحنان والرقة - أناأيضـا كان لى سقف .. وأمل .. لكن الآن - تبصق بقـوة - تفو .. كيف تشـتتنا؟ ما السبب فى تشـتتنا؟ والله .. وحق هذا العبـاس ابو راس الحار عندما أصبـحت وحيدة .. جائعة، بـلا معيل ولا أهل وبلاأى شىء .. قررت أن أقـتل نفسى، لكن الله كـريم، هيأ لى ابو حدبة، اصطادنى من فم الموت، وعرض علىّ الشغل معه ... ودربنى تدريب قاسى .. افهمنى ...

الابن: أنا أفهمك، وان شاء الله لن أدعك تخسرين.

عفـتة: الـله يحفظك، لقـد وضعت كل مـصيـرى .. وكل تعب عـمرى وكدى على شغلة والدك .. صرفـت كل ما ادخرت عليه..

- يقترب الابن من الأب ليحتضنـه - لا فائدة .. لا تحاول .. لقد أعطيته

حبة منومة منذ الصباح كى لا يتعب ويجوع ويعطش .. انه الآن نائم بلا احساس.

الابن: - ينسحب عن الأب - أفهم .. أفهم كل هذا .. ولكن الآن....

عفتة: لا .. لا تتكلم أكثر، اسمعنى حتى الآخر يمكن تعرف ما العذاب والقلق والخوف الذى أعانيه، أولاً دفعت الخلو ...

الابن: دفعت خلو على والدى..

عفتة: نعم .. كان الطلب كبيرا وكثيرا على والدك، الكل يريده وبأى ثمن، أول ما بدأنا المزايدة على تأجيره .. بدأنا بثمن الخلو...

الابن: لكن هذا انسان وليس دكان..!

عفتة: أوه ...ه..ه...! فى أى عالم انت الآن..؟ هذا الانسان ما ان وصل الى يدى ابو حدبة حتى صار بضاعة لها رقم .. ولها ثمن وعليها أن تأتى بربح ومردود مادى يومى .. وقانوننا يقول: البضاعة الجيدة تحتاج الى دفع جيد .. ودفعت دفعا جيدا..! ابنى بعد الخلو .. دفعت التأمينات..

الابن: على والدى..؟

عفتة: نعم .. تأمينات حتى لا أهرب به، أخ لو تعلم كم دفعت..؟ دفعت كثيرا.. من مالى وصحتى وروحى..وحتى كرامتى.. حتى هنا فى الشارع

أدفع .. بالخفية لهـذا وذاك من أجل كل شيء.. من أجل طرد الشحاذين الآخرين عن المكان ومن أجل حمايتي.

الابن: حمايتك ممن؟

عفتـة: من كل انسان. منك، من غيرك.. من المنافسـين، من الحساد .. من الخصوم .. - تنظر فجأة باتجاه معين - ها قد وصلوا ...

الابن: (يتلفت) من هم الذين وصلوا؟

عفـتة: حـماتى لا تـتـعب نفسك لن تسـتطيع رؤيتهم، انهم منـدسون فى زحـام الناس .. وخلف أعـمـدة الشـارع.. أتظن بأنى وحـدى..؟ هكذا أحـادثك وتحـادثنى .. ونتـعـارك ونتـفـاهم بدون رقـيب وحـامى.. لا يا ولدى.. انهم ينظرون .. يراقبـون كل حركة، لقد طار الخبـر اليهم عندما جررت العـربة وأردت أخذها .. وجاءوا للقـيام بمهمـتهم ..! انهم الآن رهن اشـارتى .. ينتظرون مـنى اشـارة فقـط .. لينقـضـوا عليك - الابن يتلفت فى المكان - لا تتعب نفسك .. انهم جيدو التمرن على التخفى.

الابن: يا الله...! غير مهم، لنتفق.

عفتة: أريد أن أستفيد حتى أرتاح بتالى عمرى.

الابن: مـا كنت أتصور .. مـجـرد تصور، أن رجـلا أعـمى ..عجـوز ..

نصف مشلول .. يتهافتون عليه مثل هذا التهافت.

عفتة: ابنى .. انه مرغوب .. انه جاهز من كل شىء لا يحتاج الى عمليات اعداد، ولا يحتاج الى تدريب تليين القلوب المتحجرة، انه لقية.

الابن: فهمت .. سأدفع لك المائتى ألف دينار.

عفتة: اليوم.

الابن: أمرك.. اليوم.

عفتة: وماذا عن فلوس ابو حدبة؟

الابن: سندفعها أيضا .. هو ربع مليون دينار ولك مائتى ألف .. المجموع أربعمائة وخمسون ألفا، سأذهب الآن لأجلب المبلغ.

عفتة: نسيت ثمن الخلو..

الابن: لا لم أنس.

عفتة: أحذرك من الذهاب الى الشرطة .. حمايتى ستراقبك .. ما ان تقترب من الشرطة حتى يختفى الوالد الى الأبد ولن تجده أبدا.

الابن: اطمئنى - عندما سأعود بعد ثلاث ساعات .. سأجدك فى نفس المكان.

عفتة: انتظر، بقيت قضية معلقة.

الابن: ما هى

عفتة: قضية مصيرى أنا

الابن: ما شأننا بمصيرك، مصيرك يخصك وحدك - اسمعى يكفينا ما عانينا وما عانى والدنا، ما علاقتنا بمصيرك وانت أحد الذين سببوا لنا المذلة والهوان والألم؟

عفتة: أسكت، كيف ما علاقتكم بمصيري..؟ أنا الآن بمثابة أمكم.

الابن: أمنا؟

عفتة: قانونيا .. أنا الآن بمثابة الأم، أم تريدون أن تبذونى كما نبذتم هذا الأب المريض المسكين..

الابن: نحن لم ننبذ أبانا .. لقد سرقتموه وتاجرتم به

عفتة: لا تصرخ.. والا جاء من يحمينى ولن تخرج سالما.

الابن: ماذا تريدين الآن؟

عفتة: حقوقى كزوجة لأبيكم

الابن: وهل تزوجك أبونا؟

عفتة: حقوقى كزوجة لأبيكم

الابن: وهل تزوجك أبونا؟

عفتة: طبعا .. أنا الآن زوجة شرعية..

الابن: كيف تزوجك أبونا؟

عفتة: كما يتزوج أى رجل وامرأة .. ألا تعرف..؟ أم أرسم لك خارطة..؟

الابن: ومتى كان هذا الزواج..؟

عفتة: منذ أول يوم استلمته فيه، أم تريدنى أن أعيش مع رجل غريب تحت سقف واحد دون عقد زواج ولو عرفى؟ لا .. لا يمكن أن أغضب الله .. حرام .. لا أريد أثير كلام الناس حولى وحول سمعتى.

الابن: بارك الله فيك وكثر من أمثالك .. شريفة، هل عقد عليك؟

عفتة: نعم .. عند رجل دين مخول شرعا

الابن: وقانونا..؟

عفتة: لا .. زواج.. عرفى .. يقره الشرع

الابن: طيب .. كيف أخذت موافقته وهو أخرس لا ينطق .. ومشلول لا يستطيع الكتابة؟؟

عفتة: لا شىء صعب، طلب منه رجل الدين، أمام شهود أثنين أن يهز رأسه علامة الموافقة على الزواج.

الابن: ووافق أبى؟
عفتة: المهم هى هزة الرأس..
الابن: وهل هز رأسه.
عفـتة: الحقـيقة كانت لحظة صـعبة جـدا، لكنه بشكل من الأشكال .. هز رأسه .. وتمت الوافقة والمصادقة على الزواج.
الابن: رحمتك يا رب العالمين .. - يصـيح - غضبتك يا رب العالمين .. وامح هذه السـلالة الخبيثة - صـمت ثم ...- كيـف عرفت اسمـه وهو أخرس ومشلول..؟
عفتـة: (تضحك ..) شاطر ..!! أسئلتك قاتلة، يا عـزيزى الشاطر .. لقد وجدنـا بطاقة شـخصـية قديمـة ومطوية فى ثنايا مـلابسه.. فنحن نفـتش جيوب أى بضاعة جـديدة تصل الينا .. وجدنا بطاقة الوالد .. وهى الآن مـسجلة بأرقـامهـا وتاريخهـا فى عـقد زواجنا أنظر ..- تخـرج له عقـد الزواج وتعطيه له - هذا عقد الزواج..
- الابن يأخذه ، ينظر فـيه .. ثم يمزقه ويسـحقه ويرميـه ..- احذر .. لا تتهـور - العقد الذى مزقـته نسخة مـصورة عن العقد الأصلى، النسـخة الأصلية محفوظة عندى.

الابن: والآن..؟

عفـتة: لن تتسلم أباك الا بعـد أن تدفع المبلغ المطلوب ومعه زوجـته التى رعته.

الابن: ستطلقينه..

عفتة: حاضر ..بمائة ألف دينار

الابن:بخمسين ألف .. ولا فلس أكثر.

عفـتة: أخ يا زمن ..! عـاد الأبناء يساومون على الآباء، اسـمع، خمـسة وسبعون ألفا وخذ أباك حلال عليك..

الابن: طيب موافق .. فقط خلصينى

عفتة: كم أصبح الحساب كله لى ولابو حدبة..؟

الابن: لك ثلاثمـائة ألف .. وله ربع مليـون .. اذن الحـسـاب خمـسمـائة وخمسين ألفا، سأجلبهـا خلال ثلاث أو أربع ساعات، لا تغيبى عن هذا المكان.

عفتة: أحذرك من أى لعبة تلعبها مع الشرطة .. ستخسر الوالد الى الأبد.

الابن: أيتـهـا الأرض .. يا سـماء .. يا اله الأرض والـسمـوات ارحـمنا برحمتك الواسعة .. ما هذا الزمان ..؟ ما الذى يحدث؟ ماذا يجرى؟

المغنى: (فى بقعة الضوء..) لأن العصر مثل النعش ..
لأنى جثة فى النعش
لأن الناس كل الناس
دُمىً من قش
لأن .. ولأن .. ولأن
لأن الانسان الطامع كلب ..
تصحرت الروح .. وتحجر القلب
عفتة: لله .. لله .. من مـال الله .. يا أهل .. هذا ابن جاه .. من أصحاب الجاه..
- ثم فجأة تنزع عنها ثياب عفتة فتظهر المؤدية - الممثلة -
الممثلة: ويبقى العرض مفتوحا..
الممثل: للتفكير..
الممثلة: أو للتغيير
الممثل: أو للتعبير
الممثلة: أو للتدمير
الممثل: مشاهدينا الأعزاء .. احذروا ..

الممثلة: احذروا على آبائكم

الممثل: وعلى أمهاتكم ..

الممثلة: فقد تعودون الآن من مسرحنا الى البيت ولا تجدونهم هناك..

- نهاية -

اللعبة

سيناريو: قاسم محمد

عن قصة اللعبة للكاتب العراقى احمد خلف

قصيدة اللعبة: لابراهيم زيدان

- إن قراءة ، ودراسة، واستقراء الأدب الجاد والرصين الذي يكون قد حقق حضوراً واضحاً، كانجاز ابداعي، عصري متميز يمنح المسرح رافداً حيوياً، مؤثراً في مجال خلق نص مسرحي متميز هو الآخر.

- إن كتاباً محدثين كثيرين في ادبنا العربي ومنهم الكاتب العراقي احمد خلف قد انجزوا أدباً روائياً وقصصياً مليئاً بعوالم وشخصيات، واجواء صراع، وفضاءات شغل للمسرح باستطاعتها ان تخلق مع الشغل المسرحي الجاد، والبحوثي، مسرحاً عربياً، حديثاً، اصيلاً، وتأسيسياً ليس على صعيد واحد سب، بل وعلى اصعدة مختلفة ومتعددة في المسرح في التصميم في أساليب الأداء في استنباط حالات شغل مبتكرة واداءآت عرض خاصة ذات صفات محلية مؤثرة في كلية وشمولية المسرح الكبير.

قاسم محمد

٢٦/١٢/١٩٩٦م

الشخصيات:

١ ـ الباشا

٢ ـ الحاشية الأول

٣ ـ الحاشية الثانى

٤ ـ أحمد ـ صعلوك.. مؤرخ.. مثقف

٥ ـ حكومى ـ جندرمة

٦ ـ الجندرمة الثانى

٧ ـ خدم قلعة الباشا.

٨ ـ الخادم العجوز ـ حسن

٩ ـ كبير الأمناء

١٠ ـ الباشوات.. عدد منهم ـ عشرة ربما

١١ ـ حرس الباشا

١٢ ـ الخدام العجوز حامل الجرس

ـ فى القصر..

ـ فى العتمة، يسمع صوت الباشا، يشتم بالتركية بصوت عال.

الصوت: حياسز..! بيزونك.. ادب سز..! شك اوغلى اشك.

ـ اثناء ذلك، تبدأ اشباح اشخاص تراكض.. تتهامس، تتوقف برهة .. تهمس، ثم تسرع لتختفى عبر أبواب مختلفة موجودة فى المكان.

xxxxx

ـ فى وسط المكان المريب هـذا.. يرى عجـوز، مـوغل فى العـمر، يـسير متـعرجاً، متكئـاً على عصاه بيـده جرس نحاس صـغير ، يرفعـه.. يهزه، ليصدر رنيناً متواصلاً عالياً.

ـ من الأبواب المختلفة يخرج: الخدم.. الحرس.. الحاشية.

ـ توقـد فوانيس ومـصابيح عـديدة لتـضىء المكان اضاءة تشىء بدهاليـز الغدر والخديعة.

xxxxx

ـ يسرع احدهم..

ـ يبتعد ثان

الأول: اسرع بربك.. احضروه إلى هنا.. وإلا انقلب علينا عالمنا..!

الثاني: وإن لم نجده..

الأول: لا تعتمد على الآن، لك امرك ولي امرى..!

الثاني: اين نجده.. ابن القحبة هذا؟

الأول: ستجدوه في الشوارع، مأواه الوحيد.

الثاني: حيرة ..! من يعرف اماكنه الرثة..؟

الأول: لا تطل على الكارثة..! احضروه الليلة إلى هنا..- يخرج -

الثاني:.. من سيجد هذا الصعلوك ابن الصعلوك...؟

حكّومي..! ليس غير حكومي الجندرمة من يستطيع ان يجده ويحضره إلى هنا.. سأرسل اليه حكّومي..- يخرج -

- في الشارع

- احمد الوحيد..

- ملابسه مجموعة من خرق متنافرة في كل شيء..

- احمد يغني مقاماً بنشوة وعمق احساس.. وهو سكران.

احمد: اصبحت لا ناصح ياتيك مستتراً

ولا علانيةً خوفاً من الحَبَل

كم في حبوسك ممن لا ذنوب لهم

اسرى التكذب فى الأقياد والكبّل..
- يظهر الجندرمة حكومى مع عصاه التقليدية.
حكّومى: صلوات
- يركل صفيحة عتيقة باتجاه احمد.
- احمد يصعد صوته.. ويركز كلمات مقامه..
حكومى: هى.. انت ايها الحافى.. يا ابن الحافى.
- يرميه بشيء..! بعنف وصخب.. وقسوة..!!
أحمد: تسامى الرجال على خيلهم ورجلى من بينهم حافية
حكومى: لا تجبنى كلمة بكلمة، لا تشغلنى، ولا تتشاغل بسفاهاتك وترهاتك عنى.
احمد: اصبحت تكلم السفهاء ياحكومى..؟ من ارسلك؟
حكومى: قدرى الأعوج.. جعلهم يختاروننى ويرسلوننى اليك لاكلمك انا جالب الفرسان.. والشجعان.. أرسل الآن لأجلب طرطوراً رثاً..
أحمد: الحمد لله ليس لى فرس ولا على باب منزلى حرس
ولا غـلام إذا هتفت به بـادر نحـوى كـأنه قبس
- حكومى يصيح بعنف.. مع رميه بشيء آخر..

حكومي: بلا دس...! لا تدس بهـــذيانك الارعن هـذا، ايهـا المفلس المقلفس.. الجاحد...

احمد: غنيت باليأس واعتصمت به.... عن كل فرد بوجهه عبس.

حكومي: اعوذ بالله...! اسكت يا هذا واسمع.. ثم نفذ ما آمرك به.

احمد: حكومي...! صحيح أنت الآن الـ.. جندرمة.. ال.. مقرب من المقربين إلى ذوى قربى الباشا..! لكن تذكر ياحكومي.. تذكر إنك كنت صاحبي أنا.. في نفس هذا الشارع.. الضائع.. ومن المحتمل جداً.. ان تلفظ لفظ النواة.. عندما تنتهى مهامهم معك.. فتصبح غريباً.. منبوذا.. تماماً مثل الأسفنجة. تغمس وتعصر، وعندما ينتهون من عصرها.. يرمونها في الزبالة.

حكومي: (يصيح) اسكت..! لا تثرثر اقول لك. الوقت يمر.. وأنا واقف استمع لهذر ثرثار.. سكران.. رث.. حاف..

أحمد: هل فكرت يوماً، يا صاحبي.. ، وشاهدً محنتي، من هو سبب رثاثتي؟ أم إنك.. اصبحت انت الآخر..

حكومي: (يصرخ) اسكت.. اسكت.. اسكت ونفذ اوامري بسرعة. عجيب امرك..! لا أدرى لماذا انت بهذه الاطمار وهذا الدثار.

احمد: ماذا أفعل..؟

هجم البرد مسرعاً ويدى صفر

وجسمي عارٍ بغير دثارِ

فتسترتُ منه طيلة التشاريت

إلى أن تهتكت استارى .

ونسجت الاطمار بالخيط والإبرة حتى عريت من اطمارى

وسعى القمـل من دروز قميصى من صغار ما بينهم وكبار

ثم وافى كـانون واسـود وجـهى واتانى ما كان منه حذارى

حكومى: طيب.. سمعتك يا صعلوك ما فيه الكفاية.. هيا معى بالحسنى ، إلى قصر الباشا.

أحمد: (صـوت اندهاش.. ثم) إلى .. قصر البـاشا..؟ حكومى.. لعلك واهماً.. ربما يا صديقى، توهمت بالشخص المطلوب إلى قصر الباشا؟

حكومى:.. بل انت.. انت الصعلوك.. يطلبك الباشا الافخم..

احمد: حقاً؟ اهو الافخم..؟

حكومى: ملك الملوك الأعظم.

احمد: أهو بنفسه؟

حكومي: مالك، رقاب الأمم
أحمد: مولاك..؟
حكومي:.. ومولاك.. ومولى العرب والترك والعجم..!
احمد: يالظلمة هذا الزمان المعتم..! يطلبني هذا الفاني في زمن غياب المعاني..! متأكد يا هراوة الدولة، أنه يطلبني أنا..؟
حكومي: يطلبك انت وعلى وجه السرعة..
احمد: وإذا لم اذهب معك..؟
حكومي: اذبحك..
احمد: اذبح.. اسفح.. اجرح.. ما شاء لك أن تذبح وتسفح وتجرح ..لن اذهب معك.
حكومي: انا لله وانا إليه راجعون، إن لم تأت معي فسأنقل إلى آخر خط على الحدود.. حيث يأكلني الدود...! هيا بسرعة.
احمد: يا للوعة..! مولاك هذا الفاني..
حكومي: لا تورطني.. هذا الخالد في كل زمان.. خلد الله تعالى حكمه وحكمته ومملكته وسلطانه واعلى في الخافقين عزه وبرهانه.
ـ احمد يبكي بكاءً مفتعلاً .. ساخراً..

لا تعبث.
احمد: بل اندب.
حكومي: لماذا تندب.. وانت الباشا الافخم يطلبك؟
احمد: إنما الناس بالملوك وما..... تفلح عرب ملوكهم عجم
حكومي: كفا، .. وتحرك معي إلى القصر.
احـمد: انت اهبل... اتحـرك دون ان أعرف سـبب تحـركي..؟ اتظن بأني انت..؟ يحـركـونك تتـحـرك.. يسكنونـك تسكن..! يأمـرونك تنفـذ.. يكلمونك تتكلم.. يسكتونك تسكت..!
لماذا اتحرك إلى القصر؟
ـ حكومي.. يضعف.. ينكسر شعوره وصوته..
حكومي: يريدك.
احمد: لماذا؟ لاي سبب..؟
حكومي: ليس على أن أخبرك بشيء.. انا عبد مأمور.. منفذ..
احمد: السبب.. يا حكومي..! انا عقل.. لا آلة.. على العقل آن يعرف.. اريد أن أعرف..! أخ يا حكومي لو كنت عقلاً.. لعرفت.. ولنجوت..
حكومي: (يكاد يـبكي) اتوسل إليك.. بحق تاريخـنا السـابق.. نجني من

ورطتي.. تعال معي الى القصر..
أحمد: (يصيح به) السبب..!
حكومي: (يهمس) أظن.. يريد أن .. يلاعبك الشطرنج.
احمد: هذا ما خمنت أيضاً.
حكومي: إذن لا خلاف بيننا.. صدق تخمينك.. يسر امري.. وتعال معي إلى القصر.
احمد: اذهب.. وقل لسيدك.. أنا الآن سكران.. والشطرنج لعبة مقدسة.. والسكران لا يلعب لعبة مقدسة بنبرة بالخمرة مدنسة .. لا اذهب، إلا إذا صحوت.
حكومي: ومتى ستصحو؟
احمد: لا أعلم، فصحوتي عثرة تقود إلى عثرة..! وعثرتي تقودني من سكرة إلى سكرة والسكرة تقود إلى الحسرة وهكذا ادور كثور المدار ما بين العثرة والسكرة والحسرة.
حكومي: (بلين شديد) انتبه ارجوك.. انت رجل.. وهذه دنيا وعليك ان..
ـ احمد يصيح فجأة صيحة مدوية ثم يهدأ ويلقي..

أحمد: من كان فى الدنيا له شارة   فنحن من نظارة الدنيا
نرمقها عن كثب حسرةً   كأننا لفظ بلا معنى
يعلو بها الناس وإيامنا   تذهب فى الارذل والادنى..!

حكومى: والله انا فهمك..! اتوسل اليك .. ان لم تأت معى، فسيطاح برأسى..!

احمد: لا..! إلى هذا الحد؟

حكومى: نعم.. الباشا الأفخم اقسم ان لم أعد بك إليه.. فسيطيح برأسى.. اتوسل اليك.. باسم صداقتنا القديمة.. باسم الرب الرحيم ارحمنى وامش معى.. وإلا انتهيت .. وانتهى عمرى وتشردت عائلتى.

ـ حكومى يبكى بحرقة شديدة.

احمد: تبكى؟ انت حكومى الجندرمة.. الصلف .. القاسى.. الجلاد.. تبكى؟؟

حكومى: انا إنسان، اعطف على، لا أريد منك أكثر من أن اوصلك إلى يد رئيس الخدم.. واخرج انا من العملية..

ـ يجهش ببكاء مر حارق

احمد: يا الله..! حكومى الذى ابكى الارامل والرجال والصغار..

يبكي..! رجل المهمام الصعاب، الصارم.. الحازم.. يذرف دمعاً هتوناً ساخناً
ـ احمد يتأمل.. جسماً وصوتا وطريقة تفكير..
الـ.. بكاء..!
ما الـ.. بكاء؟
طفل يبكي..! امرأة تبكي، رجل يبكي..! عاشق يبكي.. مفلس يبكي..!
شرطي يبكي..! حاكم يبكي..!؟
مال البكاء؟؟
ـ احمد يبكي هو الآخر..
يا لهذا التكوين المر.. المرعب.. الـ ... بـ... كا...ء..!
البكاء لا يعرف احداً دون احد.. لا يفرق بين الباكين واسباب بكائهم..! لأن البكاء عنوان انسانية الانسان.
إذن الجندرمة حكومي مازال انساناً.
حكومي (يسرع إلى التوسل والتشبث) انسان.. والله العظيم انسان.. وصاحب عائلة واطفال.. واحتار بتدبير لقمة العيش لستة افواه تأكل ست مرات في اليوم وربما اكثر.

احمد: كفكف دموعك ايها الـ.. كان صاحباً وصديقاً.. سأتى معك.

حكومى: اشكرك - يقبل يده - لا انسى لك هذا الفضل..

- احمد يمزق قطعة قماش رثة من دثاره يناولها لحكومى..

احمد: خذ.. امسح دموعك.. واستعد هيئتك..!

- حكومى يفعل..

هيا بنا.

حكومى: قبل أن نذهب مـن الأوامر المشددة والضـرورية التطبيق: هو ان تفرغ جيوبك من كل الأشياء التى فيها..!!

احمد: السبب؟

حكومى: خشية ان يكون فيها.. أشياء ضارة

احمد: مثل؟

حكومى: مثل.. مثل.. مثل..! لا تـورطنى. نف الأمر وارحمنى.. اكمل فضلك على.

احمد: نورنى كصديق عتيق..

حكومى: أشياء معدنية..! أشياء ناقلة لاشياء..! أشياء ممنوعة..!

انت تعـرف.. هم حكام - بهـمس انسـان ووداعـته - والحكام يـخافـون.

(فجأة حكومى ينتزع سترة الجندرمة فيظهر اخر)
ـ احمد يلحظ التحول الذى طرأ على حكومى..
أحمد: لقد تغيرت يا حكومى.. انظر.. يالطيبتك وصدقك..! انظر إليك وانت بلا سترة الجندرمة..
حكومى:.. هذه الملابس.. ما أن أنساها وابقى بها.. ابقى جباراً.. عتياً قاسياً حتى فى سرير النوم.. وما ان انزعها. حتى يتغير فى كل شىء حتى صوتى..! احمد.. حبيبى.. لقد تأخرنا.. افرغ ما فى جيوبك وهيا بنا.. استر عرضى.. الله يستر عرضك..!
أحمد: حكومى.. جيوبى هى ذاكرتى وجزء مما جيوبى يعتبر جزءً من ذاكرتى، كيف السبيل الى افراغ ذاكرتى من اشيائها؟؟
حكومى: كفى بربك الرحيم الرؤوف..! ارأف بحالى وافرغ جيوبك ودع ذاكرتك نائمة...
ـ احمد يبدأ بإخراج اشيائه من جيوبه.
ـ يخرج منديلاً.
أحمد: منديل الحب الأول، خاطته لى.. وطرزته..
ـ يخرج اوراقاً فيها عناوين.

قصاصات تحوى عناوين اصدقاء رحلوا منذ بعيد إلى بعيد.. عناوين أحلام تكدست عبر أيامى فصارت هى الأيام..!

ـ يضحك ـ انظر هذا عنوان مستقبل كان ينتظرنى.. لكنى، البليد، تخلفت عن الذهاب اليه.. فصرت هذا الصعلوك الماثل امام جندرمة بليد تخلف هو الآخر عن الذهاب إلى موعد مع مستقبله..

ـ حكومى يبكى فجأة بصدق..

وهذه دعوات أعراس ومآتم .. لأناس كانوا يضجون حياةً وحضوراً.

ـ يخرج من بقية جيوبه خليطاً عجيباً غير متجانس مع الأشياء الصغيرة: علبة .. مفتاح.. خيط مجرد.. مدية صغيرة، حصاة، خرزة، قطعة جلد.

حكومى: ماهذا الخليط..؟ يا اخى انت عجيب . ما كل هذه النفايات؟ ما هذه الاشياء غير المتجانسة..؟

أحمد: هذه بعض رموز حياتى، عمر غير متجانس من الأيام والكبريت والسيكائر والحاجات عديمة الفائدة والأهمية.. مثلى تماماً.

ـ يفرش الأشياء فى رقعة واسعة أمامه..

لكل إنسان جيب. الانسان نفسه ما هو إلا جيب معبأ ، إنه جيب الأزمنة والأمكنة.. انظرنى..

- يشير إلى الاشياء المفروشة امامه.
هذا انا.. محتويات من تخيلات وأحلام وأوهام.. وقذارة وزيف وصدق وضياع..!
حكومي: هيا يا عزيزي.. لا تؤخرني..
احـمـد: لا يمكنني أن أترك أشـيـائي هـكذا دون وداع.. دون نظرة تأمل أخيرة، امنحني أيها الهراوة لحظة الرحمة الأخيرة لوداع أشيائي سأتركها هنا.. على ارض الشارع.
حكومي: هو مكانها الحقيقي، إلى حيث القيت..
احمد: فـعلاً.. لم يعد في ميـسوري أن أعيدها إلى ما كـانت عليه.. في الجيب أو في الذاكرة.
- احمد يمتد على الأرض مشيراً إلى بعض الحاجيات.
.. دعوة المستـقبل الذي ينتظرني.. في العشرين من عـمري، ولكن بطاقة الدعـوة جاءتني خلـواً من التاريخ والمكان.. تـرى اكان هو اللهـو..؟ أم السهو..؟ أم الوهم.. أم الـ..
- يشير إلى صورة..
هذه صـورة تذكـارية، كـانت تجـمـعني مع الـذين رحلوا.. للقبـر.. أو

للمنفى.

ـ دخل الجندرمة الثانى مسرعاً.. يرى المنظر.

ـ حكومى يسرع يلبس ما نزع من ملابسه..

الجندرومة ٢: يا الله..! حلو...!! ما هذا السوق..؟ ما هذه الاشياء..؟

أحمد : ذاكرة حياة.

الجندرمة: لا تثرثر أكثر من اللازم، لمن هذه الأشياء؟

أحمد: لى. ـ الجندرمة الذى يسحب قصاصة جريدة

الجندرمة ٢: ما هذه؟

أحمد: قصاصة جريدة.

حكومى: سيدى..

الجندرمة ٢: استعد واسكت. ـ حكومى يستعد ويسكت ـ ارى إنها قصاصاة جريدة.. ولكن ما بها..؟

أحمد: صورة لمحتجين ضد التمييز العنصرى.. والتعصب الطبقى وشكوى غياب العدل.. ومسخ القانون... و...

الجندرمة ٢: يصرخ ـ ممنوعات.. كل هذه ممنوعات.. كيف تنشرها هكذا فى الشارع.

أحمد: انا لا أنشرها.. بل أودعها..

الجندرمة ٢: أين كانت؟

أحمد: في جيبي.

الجندرمة٢: معلوم.. انت من حملة الممنوعات في جيبك؟

أحمد: ما شأنك أنت؟ أنا مسئول أمام هذا الجندرمة.. لا أمامك..

الجندرمة ٢: أنا مكلف بواجب مراقبة ومكافحة الممنوعات ومن يحملها أو يروجها.. وأنت تعترف أنها كانت في جيبك..

أحمد: .. يا...! كل الجيوب، لامر ما.. لظرف ما.. تحوى ممنوعاً ما.. بما في ذلك جيبك أنت..

الجندرمة ٢: لاتدخلني في الأمر..

احمد: لا تخف..! لظرف ما يضطر انسان ما.. لحمل ممنوع ما.. ولو افرغت جيبك..

الجندرمة ٢:يضحك ضحكة مدوية..

أحمد: لا جيب كجيب الجندرمة، مدرب على احتواء الممنوعات..

حكومي: سيدي..

الجندرمة ٢:قلت اسكت واستعد..(-) حكومي يستعد ويسكت.

احمد: .. وليس كالجندرمة من يجيد التهرب والتهريب والمتاجرة بالممنوعات.. ملفوفة بورق القانون ومحمية بعصا اداء الواجب.

(-) حكومي يصيح فجأة..

حكومي: ما هذه البلوى التي نزلت عليّ اليوم؟

الجندرمة ٢:ما بك انت.. الآخر..؟

حكومي: أنا جندرمة قصر الباشا.. وقد ارسلت إلى هذا المحترم.. وجئت أنت صدفة..

الجندرمة ٢:صدفة؟ اسكت واستعد..

حكومي: لا اسكت ولا استعد..

الجندرمة ٢:لكني اعلى منك رتبة وعليك ان تمتثل..

حكومي: كن من تكون.. أنا جندرمة القصر.. وعليك انت أن تمتثل.. اسكت واستعد...(-) الجندرمة ٢ يستعد ويسكت - الباشا يريد هذا المحترم لأمر شخصي جداً، وأنا قد تأخرت عن تنفيذ امر الباشا الخاص جداً - والآن تأتي انت بكل غبائك لتؤخر الامر الشخصي.. اتركه لاخذه الى القصر وإلا كان القصاص شديداً جداً.

الجندرمة ٢:ولكن واجبي..

حكومي: واجبي هو الأهم.
أحمد: يا للنكتة السمجة: شرطيان وواجبان ومطلوب واحد
الجندرمة ٢:بماذا تهدف؟
أحمد: لا أهدف .. بل أعرف.. وأعرف: شرطيان ومطلوب واحد وواجبان متقاطعان
حكومي: كفى كلاماً. امشِ معي.
أحمد: لن أمشي معك إلا بعد ان أكمل محاضرتي حول الواجب والشرطي: واجب.. وشرطيان: ـ المكان واحد. الزمان واحد ـ الاسم واحد، الهدف واحد لكن النظرة إلى الهدف تختلف بين الشرطيين.. إذن اختلف الواجب.. تعال إذن وطلع الحمار من هذا الوحل.
الجندرمة ٢:حقاً أنها وحلة..! من الذي سيقوم بواجبه ويأخذ هذا المأفون.
حكومي: المحترم..! وأنا الذي سيأخذه.. لأن الباشا الأفخم يريده شخصياً وكلفني شخصياً بإحضاره.
الجندرمة ٢:وإذا اخذته أنا..؟
حكومي: ستنقلب دنياك على رأسك.. وستلعن اليوم الذي ولدت فيه أو

اليوم الذى لبست فيه هذه الملابس، واليـوم الذى جئت فيه الى هنا للقيام بالواجب.

الجندرمة ٢ :والقانون؟

حكومى: طز..! رغبة الباشا الأفـخم فوق القانون= يصرخ به ـ اترك هذا المواطن الشريف وانسحب.

الجندرمة ٢ :(يستعد يؤدى التحية) حاضر سيدى.

احمد: (يضحك) كيف تحييه وتستعد له وهو أقل رتبة منك؟

الجندرمة ٢: ايهـا المواطن المحترم.. انـا انما احيى الباشـا الأفخم.. اذهب واذكرنا بالخير عند الباشا...

xxxxx

ـ فى القصر.

ـ أعمـدة المكان تتحول إلى تشـكيلات وممرات وصفـوف فتحـول معنى ومبنى المكان.

ـ خدم يحلمون مشاعل.. يضيئون المكان بالمصابيح والقناديل.

الاضاءة المخـتلفة الآتيـة فى الممرات. تمد اشـرطة ضوئية مـؤثرة التكوين والتشكيل والتكتل.

- كل شيء متـوتر فى المكان.. الأصوات الـهـامسـة التى لا تنقطع، الركضات السريعة.. الوجوه المتلفتة..
- تمد سجاجيـد لتفرش الارضية.. كما لو كـان هذا تحديدا لميدن الصراع الآتي.. الأرضية تصبح حمراء قانية.
- تحمل مربعات بحجم متر مربع.. سوداء وبيضاء..
- تجلب الاحجار الشطرنجية الكبيرة الحجم بحجم الانسان الطبيعى.
- يجلب كرسى هزاز للباشا.. مع عصاه المنقوشة برأس اسد مفضض.
- ملابس البـاشا والخدم والحـرس والحاشية مـزخرفة، مطرزة مع عـمائم كبيرة الحجم متعددة الطوابق.
- ملابس أحمد بينها نشاز.. رث: بالطو طويل عتيق، لفاعة رقبة طويلة، شعر اشعث، لحية كثة، خرق متنافرة الألوان.
- مع دخـول الباشـا.. يبـرز مناد بعصـا طويلة.. يطرقـها ثلاث طرقـات وينادى باسماء الباشوات الموجهة إليهم الدعوة لحضور اللعبة.
- مع ذكـر اسم كل باشـا يدخـل البـاشـا المقـصـود.. او تدخل لوحـة له مرسومة تمثله بأبهته.. وملابسه وعمامته واكسسواراته..
المنادي: عدلى باشا/ طورسون باشا/ توركـان باشا/ فهمى باشا/ زاهر

باشا/ موران باشا../ عصمت باشا/ تحسين باشا/ مدحت باشا/ خلوق باشا../ سيرت باشا/ سليمان باشا/ عصمان باشا/ .

ـ بعد استواء دخول الباشوات..

ـ يدخل احمد بشكله الشاذ.. النشاز.. خلفه ثلاثة حراس اشداء باسلحتهم.. بحيث ان الحارس ومجموعة الاسلحة التى يحملها تكون لوحة بحد ذاتها.. فؤوس.. سيوف.. رماح.. سكاكين.. تروس.. خوذة.. زرد.. حذاء عالى الرقبة.

باختصار.. الحارس الواحد عبارة عن مدرعة مدججة السلاح.

ـ جلوس الباشوات: سواء كانوا احياء أو لوحات تمثلهم مع الحرس والخدم يصبح لوحة تشكيلية مثيرة..!

الباشا:احضرتم ابن الزانية؟ - يسعل.

- يدخل احمد إلى مكان متقدم.. الباشا ينظر اليه

انت هو العاصى..- يسعل - العاهر..؟

احمد: انا.. الاستاذ الماهر..

الباشا:الكافر ابن الكافر.. - يسعل

احمد: عندما يصيح لاعب الشطرنج.. - يسكت..

الباشا: اكمل..

احمد: ... فهذه علامة خوف.. وهلع ينتابه.

الباشا: انا لا أخاف

احمد: اذن لم تصرخ؟ انت بحاجة الى اعادة ترتيب صوتك وإلى لملمة شتات تفكيرك.. وإلى جمع تماسك نفسك.

اصوات: ادب سز.

جيز بون..

بشت..!

الله بيم بلا ورسون..!!

دنغوز..

حيا سز..!

- يجلس الباشا على كرسيه الهزاز

- يسرع عدد من الخدم بقوارير ماء الورد ليصبوا على يديه وكتفيه وملابسه.

الباشا: بماذا تفكر؟

احمد: بالساعة المريبة التي خطرت بها على بالك.. والتى جمعتنى بك.

الباشا:لماذا مريبة هذه الساعة..؟

احمـد: عندما اكون فى مـثل هذه الاماكن، يكون طالعى سـيئاً يسـير بى نحو المجهول.

الباشا:تخاف من اللعب معى؟

احمد: لا. أنا استاذ هذه اللعبـة. لا اخاف منها ولا عليها ـ ولكنى اخاف سورات الغضب التى تمور الآن فى داخلك بدلاً من تركيز عقلك.

الباشا:تعال اذن يا استاذ.. احمد بك.. اقعد ولنلعب لعبة الحسم،

ينبغى ان يبـقى استاذ واحد.. واحد منا يبـقى مرموقا فى هذه اللعـبة. اما انت أو أنا.

أحمد: والرهان؟

الباشا: الحسم الأبدى. الأبدية للخاسر.

احمد: كنت اظنها لعبة ملوك عقـلاء.. تمنح الحكمة والصبر والعدل كما اسسها اسيادها الأوائل.

الباشا: والآن؟ ماذا تراها؟

أحمد : لعبة نزقين..!

الباشـا:(يضحك) لماح..! مدرك..! هيـا ولنحتف بلعـبتنا، لعبـة النزقين

والرهان كما قلت: حسم ابدى لا تراجع فيه. املأوا الكؤوس .. واعدوا رقعة الشطرنج.

- خادمان يملأن الكؤوس بالعصير الملون للجميع.

- قسم آخر من الخدم يرتبون رقعة الشطرنج.

خذ مكانك قبالتى ياastاذ.. واسمع جيداً شرط الرهان بيننا مرة أخرى:- أن غلبتنى وفزت باللعبة، اطلق يدك فى مملكتى .

صوت: ايا باخ..

الباشا:.. بل، ساستوزرك وزيراً مقرباً بين وزرائى.

صوت: .. واخ.. واخ..!!

الباشا: ... اضافة إلى أن احدى ضياعنا ستكون هدية لمقامكم الوزارى الرفيع.

صوت: الله أكبر.. ما شاء الله..!!

الباشا:وليس بعيدا أبداً، إن ازوجك من إحدى بناتنا ذوات الحسب والنسب، والأصل العريق المتمتعات بالحسن والجمال..

صوت: حسبى الله... تبارك الله..!!

الباشا: .. شرط ان المس، يا احمد بك، حسن سيرتك وسلوكك فى

دولتنا.

صوت: ونعم بالله..!

الباشا: بل وسازيدك أكثر: إذا ما وافاك الحظ وكسبت اللعبة.. سيكون هذا الكرسى .. والذى أعد خصيصاً، هديتنا لك.

- الخدم يدورون باقداح العصير..

انت تعرف قصة هذا الكرسى، وكيف جلب خصيصاً لحضرتنا من مدينة اسطنبول؟ إنه كرسى قبلاى خان.. قبلاى خان الذى لم يعرف قلبه الرحمة ولا الرحمن ولا هداية الله..! كان عاصيا، كافراً مثلك تماماً يا احمد بك، ايها الثعلب الماكر الملعون دنيا وآخرة. لعنة الله عليك وعلى ما زيفته من حوادث، وما لفقته من وقائع واراجيف وحكايات تضر بسمعتى وسلالتى.. وتسىء الى سلطتى.

ان ما نشرته ايها الزنديق.. الكافر.. العاصى، على الملأ، من قصص وتلفيقات لا صحة لها، ولا حقيقة تسندها، انت اكبر مزيف، ودجال ولعين.. انت لست شاعراً، لا ولا أنت أديباً، بل لست مؤرخاً كما تدعى.. ان انت إلا دودة ضارة. انت ارضة لعينة. لئيمة.. تنخر فى بناء دولتنا العامرة.. المباركة.

- يكون صوته قد بلغ تصاعداً إلى أعلى ذراه.. ثم يسود صمت تعود الابتسامة تدريجياً إلى وجه الباشا.. ينظر إلى احمد

.. ها..؟ بماذا تفكر..؟ افصح لى عن أفكارك.

أحمد: لا.

الباشا: لا..؟

أحمد: لا.. لا يجوز فى الشطرنج ان يفصح اللاعب ـ الاستاذ عن حركة تفكيره لخصمه..!

الباشا: وإذا امرتك؟

احمد: .. عندها افصح لك..

الباشا: اذن.. عجل وافصح..

احمد:.. (يقرأ ببراعة)

رجلان على الطاولة،

الأول حرك بيدقة،

والثانى حرك بيدقة،

اصطدم البيدق بالقلعة،

سقطت دمعة..

من عين حصان.
كتبا فوق اللوح:
يعيش الملك السكران...!
رجلان على الطاولة اختلفا:
الأول حرك ما طاب له
فاعترض الثانى
- اللعبة يضحك فيها الغش.
ودم سال على الرقعة...
فبكت شمعة.
الباشا: بلا ثرثرة. قل لى ما خططك، بماذا تفكر؟
احمد: افكر بكيفية فتح جبهة هجوم عليك لابدأ المعركة
الباشا: وماذا تريد من وراء افتتاح هذا الهجوم؟
احمد: التدمير
الباشا: واى الخطط ستتبع..؟
احمد: لن اتكلم الآن.
الباشا: ماذا؟ لن تتكلم...؟

احمد: هذا حق من حقوقي تماما كحقوقك تجاهي

الباشا: من حقي ان اعرف...

احمد: ومن حقي .. كخصم .. مساو لك، ومتساو معك .. وند متكافيء .. ان اكتم خططي وان اخطط لانتصر عليك..

الباشا - يضحك - اعترف لك بذلك يا احمد بك. ولكن. كاستاذ ماهر .. نورنا قليلا.

احمد: ان احطم احلام الخصم، كيلا يخلو الجو وفضاء اللعبة له

الباشا: لكني انا الآخر .. لاعب ماهر .. وربما اتفوق عيك في لعبي..

احمد: اعترف لك انا الآخر. وهنا لا ينبغي ان استهين بك..

الباشا: جميل..! ما خطتك..؟

احمد: بل قل .. خططي.

الباشا خطط..؟

احمد نعم ، لدي عدد من الخطط، ليس اقلها لعبة (الميزان) لما تمتاز به من ريث وهدوء هل نفرش احجار الشطرنج..؟

الباشا افعل.

- يبدأن معاً باختيار ووضع احجار الشطرنج فوق الرقعة.

هل تذكر...؟

احمد: ماذا...؟

الباشا: كيف عشنا .. وترعرعنا معاً فى اروقة ودهاليز هذا القصر؟

احمد: اذكر.

الباشا: وتذكر ما تعلمناه على ايدى المعلمين المختصين بعلم لعب الشطرنج .. الذين اهلونا .. وجعلونا نلعب لعبأمتقنا غاية الاتقان؟

احمد: اذكر ذلك .. ولكن هل تذكر انت؟

الباشا: ماذا؟

احمد: كيف تعلمت الدرس .. والتقن بحيث اصبحت اتغلب عليك فى كل مرة نلعب يها، قبل ان تطردنا من قصركم هذا..؟

الباشا: ما مضى قد مضى وانقض...! اليوم هو اليوم الحاسم.

احمد: كل ايام اللعب بيننا كانت حاسمة ..وانا من حسمها دائما

الباشا: اليوم. الويل لك اليوم ان خسرت يا احمد بك.

- يكونان قد انتهيا من رصف البيادق والادوات والاحجار الاخرى الكبيرة الحجم عى رقعة الشطرنج النى ربما شغلت ٨×٨ م٢.

- تدخل عربات الشراب وعربات الطعام .. وعربات الفواكه والزهور.

- ثمة مشبك يحمل المنشفة الخاصة بالباشا.
- احمد يدور حول الرقعة الكبيرة.

الباشا: لماذا تدور حول الرقعة؟ .. اقعد فى مكانك قبالتى.

احمد: لا شىء .. لا تقلق. ولكنى اقرأ .. مكامن الغدر.

الباشا: هل تعتقد انى سأغدر بك؟ اننى اخوض غمار معركتى الحاسمة ضدك

احمد: ما دامت هى معركة فى رأيك وليست مباراة لامتحان العقل ونبله،فهى اذن فضاء لدسائس المعارك .. وصفحة لتخطيط المؤامرات ومكمن للغدر وخدع الحروب .. وتكبر لا انسانى بالآخر .. خصما كان ام صديقا.

الباشا: تعتقد هذا..؟

احمد: نعم .. فهذا زمان لم يعد فيه وجود لفروسية الشرفاء.

الباشا: .. ماذا تريد بهذا؟

احمد: اريدها معركة شرف معلنة امام الاشهاد .. وشهامة الأولين وتحت رؤية العيون.

الباشا: حسن حسن حسن .. ولكن ماذا ستقدم لنا فى حالة خسارتك؟

احمد: ما تطلب.

الباشا: اطلب ما هو ثمين .. ثمين جـدا. أية حاجة ثمينة تملكها فى دنياك لكى تمنحها لنا مقابل هدايانا لو فشلت فى هذا الامتحان...؟

احمد: اعطيك ...

الباشا: ... نحن سنعطيك الوجاهة والجاه والوجه البارز وانت ماذا لديك لتقدمه لنا؟

احمد: انا ... انا .... ربما ... سأ .....

- احمد يتلفت ناظرا الى وجوه الباشا والحرس والحاشية والخدم.

الباشا: اراك حائرا .. مصعوقاً .. مسحوقاً..

احمـد: اعترف ... سحـقتنى مفـاجأة السؤال: مـاذا يمكننى ان اقدم لكم مقابل خسارتى مباراة فرضها الحظ على رغما عنى.

الباشا: قل ماذا لديك لتقدمه لنا فى حال خسارتك...؟

احـمـد: ليس عندى، يا جناب البـاشـا، مـا أقدمـه سـوى ... خـربة آيلة للسقوط وزوجة مهجورة وابنة شبه مشردة.

الباشا: أوه ... - يضحك - يا لرخص ثمن الخسارة...!

احمد: فى خزانة كـتبى مخطوط .. تبرع احد تجار الكتب بطبـاعتها على

نفقه الخاصة.

الباشا: وما يكون هذا الكتاب...؟

احمد: سيكون هذا الكتاب الذى عملنا فيه ثلاث سنوات، من بين هدايانا لجناب الباشا .. واذا ما تلطف وتكرم جنابكم بقبول اهدائه لكم ليتصدر اهداؤنا اولى صفحاته .. وليأخذ مصداقيته من عدالتكم وحبكم الذى لا يبارى للعلم وللعلماء، وليكون عبرة لأجيالنا الآتية.

الباشا: ... ما هو هذا الكتاب؟ موضوعه؟ معناه؟!

احمد: مخطوطة يا مولاى، تبحث فى حياة مدينة تخيلناها وكتبنا تصوراتنا عنهاكأنها حقيقة ناصعة ملموسة...!

الباشا: مدينة؟ ما هى هذه المدينة؟!

احمد: ... مدينة .. استوقفتنى عند اعماق حلمى الانسانى الأزلى. استوقفتنى بجدرانها البيض، وبابها الملونة، وسحرتنى بألوانها وابنيتها المطلة على فسحات مترامية، ومزارع وحقول جذابة.

مدينة تشكلت من مادة الاحلام والرؤية الكثيرة التى لازمت مخيلة مئات الناس من امثالى، من الشعراء والمغنين والمجانين، والحالمين المنشغلين بترتيب اوضاع خاصة جدا لكى تجد العدالة طريقها لتنتشر

وتنتعش في الأرض.

الباشا (يضحك) احلام مجنون ..! ويعيش الجن في هذه المدينة ام الانس..؟

احمد: بل ليعيش فيها البشر.

الباشا: هذا الكتاب .. كل ما تملك؟

احمد: كل ما املك. أمل ألا توضع هدايانا في مقارنة مع هدايا مولانا الباشا .. لأنها هدايا لا قيمة لها.

الباشا: ..(يصمت ... ثم يضحك ضحكة مدوية) ... هدايانا لا قيمة لها بالمقارنة مع مدينتك البائسة التي لا توجد الا في قحف جمجمة اهبل .. عابث، شارد اللب، اعمى البصيرة والبصر...؟

اصوات عفارم ../ احسنت/ ماشاء الله ../ كلام ثمين../ وصف عظيم/ يا ياه ياه.

الباشا: (يصيح) صحن العسل...!

- يركض خادم ويقدم للباشا صحن العسل. الباشا يتناول لطعات العسل.

- ينظر الى احمد الذي ينظر اليه وهو يتلذذ بالعسل.

لابد ان ابث النشاط فى جسدى ، واللمعـة فى تفكيرى، لأتهيأ لك جيدا يا أحمد بك. نسيت شيئا ثمينا من اشيائك لم تعلن امامنا عن تقديمه لنا اذا ما خسرت يا استاذ.

احمد: اى شيء هذا يامولانا؟

- الباشا: يمد عصاه المفضضة، كالسيف الى رقبة احمد ويحركها بهدوء كما لو كان يقطع رأسه بسيف.

الباشا: رأسك.

احمد: رأسى؟

البـاشا: نعم. رأسك هذه اللئيمـة، العـقيـمة .. الحـافلة بالدس والغمـز واللمز والنميمة.!

- لغط الحاشية والحرس والخدم

على قحف جمجمتك سيكون الرهان.

- فجأة يعتم كل المكان، إلا بقعة ضوء ضيقـة صغيرة، يدخل فيها أحمد لاهثا مرعوبا.

احمد وحده) ماذا سأفعل؟ كيف ستتصرف وتعيش امرأتى وابنتى؟ ماذا سيحصل لهما ولمن ستلجأن اذا ما لازمنى سـوء الحظ وسوء الطالع ..

وخسرت معركتي مع الباشا..؟

أخ .. يالدنيـاى الغائبـة ..!يالعصـرى الراحل عنى .. يا احجـارا قاسـية تحيط بى تزحف نحـوى لتسحـقنى كل ما حولى خـجر قاس لا لين فـيه احجارا قـاسية مصنوعة فى مـدن من حجر قاس .. احجـار .. احجار .. احجار.. ! حجر للطمأنينة ،، حجـر لبث الرعب، حجر يخمد الانفاس، حجـر يكتم الاصوات، حـجر للمـقابر.. حجـر للقلوب الميـتة وللأيدى الباردة وللوجوه المتوحشة.

- يستعجل بالبحث عن ورقة فى طيات ملابسه..

كتبت شيئا عن الحجر .. اين .. اين .. اين ..؟

- بجد الورقة .. يخرجها .. يقرأ فيها..

... تلك اولى الصفـحات التى تهـيأت لنا فى الكشف عن مظالم العـامة من الرعية، فى حياة مستترة مخفية وراء جدران الحجر ..! هو ذاته الحجر الراسخ فى بناء الحصون والقلاع والاسوار والاسيجة.

- لا يرى ما فى الورقة من بقية..

ماذا..؟ .. مـا هذا؟ عدد من الكلمات ممسـوح بقلم الرصاص غيـر قابلة للقراءة..!

الباشا: (يصيح) ما بك؟

- على صيحة الباشا تعود الاضاء،

تلهث خائفا على رأسك...؟

احمد: رأسى أثمن ما عندى يامولاى..

الباشا: لاتراجع ..! خرج الأمر من بين يديك.

احمد: واذا خسرت؟

الباشا: تستريح المملكة وأهلها من حماقاتك. هيا تهيأ للعب، انظر الى رقعة المعركة بيدق يقابل بيدقا احتلوا مواقعهم وستؤدى لعبتى ثمارها. لم انت ساكت؟

احمد: افكر.

الباشا: فكر .. ما اسرع ما تكون عليه ساعات الحسم التى انتظرها.

احمد: اتظن ذلك..؟

الباشا: اظن؟ انا على يقين. ان رؤيتى مزدانة بالأمانى وبالتفوق عليك.

احمد: من اين لك هذا اليقين؟

الباشا: من قوة تدبيرى.. وقوة يدى التى ستحرك البيادق بمهارة من تماسك نفسى الرابطة الجأش.

احمد: (يصيح) انظر جيداً.

الباشا: (يجفل) .. ماذا..؟

احـمد: لا تفـزع ..!اردت فقط ان أقـول: حـصان بشـرئب برأسه نحـو حصان فى سـاحة المصير المحـتوم .. يتقابلان، وستنـكشف عورة الخائف المرعوب.

- احمد بسرعة .. يحرك جندياً.

- الباشا يحرك جنديا

- احمد يحرك جنديا

- الباشا يحرك جنديا

- احمد يحرك فيلاً ويجندل جنديا من الباشا.

الباشا: اتضحت لى خطـتك يا لئيم ابن اللئيم. ارى انك ترجح ان تلعب معى بخطة الميزان اعرفها عنك .. انها احدى فلسفاتك الفارغة فى اللعب والحيـاة: الميزان ..! نـعم .. الهدوء والتـريث هو ديدنك فى اللعب اذن. خذ.. - (يحرك الباشا آلة) كأنى بمدينتين تتصارعان.

احمد: وخذ .. (يحرك آلة ويأخذ جنديا آخر)

الباشا: اليك الطعنة الاولى ايها المؤرخ .. حصانك المشرئب برأسه العفنة

يخر صريعا مضجرا بده وبخيبة أمله.

اصوات .. ما شاء الله..؟ اللهم ز وبارك/ اللهم انصر مولانا/ .. =

احمد يفكر.

الباشا: ماذا يا احمد بك ؟ .. مدينتك ام مدينتى ..؟ من تظن ستصمد فى وجه الأخرى..؟

احمد: ما مدينتك؟ ها؟ .. اتفتخر بمدينة مليئة بالسجانين الشقاة واللصوص وقطاع الطرق ومزيفى العملات والسندات واولاد الحرام والمرتدين عن جادة الحق والمتمرسين فى جرح العدالة واهانة القانون، والاثرياء الجشعين، الذين يجيدون التعامل بالربا واصناف الأكاذيب..؟

الباشا: ومدينتك انت؟ .. ما مدينتك ..؟

احمد: مدينتى؟ فصولها دائمة . هوائها رخاء عذب، لا أسئلة فيها ولا شكوك. عندما تشاهد انسانا فيها لا يخامرك الشك فيه أو الحقد عليه، او الحسد والخوف منه.

وانت نفسك كانسان تكون قد تحررت من عبودية المادة اللعينة. جميع من فى المدينة متماسكون بمنطق الحق والعدل والاثرة والإيثار.

الباشا: (يصرع مدينتك حلم مجنون مدينتى واقع اياك ان تغمز مدينتى

بكلماتك القذرة يا كلب - العب - يحرك جنديا.)
احمد: هذا جندى آخر من جندك يخر صريعا الى جهنم وبئس المصير.
- تجرى عملية لعب وتحريك احجار بحيث تتداخل البيادق فيما بينها.
الباشا: .. ايها الزنديق ..! ما هذا الذى يجرى؟
احمد: تتداخل البيادق بالبيادق، والفيلة بالفيلة، ولم تعد رقعة شطرنج التى امامنا، بل ساحة وغى ساؤرخها..
الباشا: انت تكتب تاريخا مشوها .. وتقلب الحقائق.
احمد: كش وزير.
- الباشا ينظر، يدفع بيدقا ليزيح الحجر الذى هدد الوزير.
اصوات: اللهم عونك ../ اللهم نصرك ../ اللهم تأييدك لمولانا
احمد: مات وزيرك الغافل.
- احد افراد الحاشية يطلق صرخة سرعان ما يكبتها يسود صمت ثقيل.
- الباشا يدفع بفيل الى امام.
الباشا: فيل.
احمد: حسن جداً. فيلك يريد ان يجرب حظه العاثر.لو اعتبر ان تقدم بمن تأخر لم يكن من يتحسر فى الناس ويندم.

الباشا (يصرخ)اسكت ...!

احمد: (ينظر الى الرقـعة من عدة جهات) طيب .. اليك حـصانى يقابل فيلك.

الباشا: تريدها حربا بين الفيلة والخيول

- الباشا: يؤشر ليؤتى له بكأس

احمد: النبيذ يعيد التوازن الى الروح.

- يسرع عدد من الخدم - بصحون الزيتون والمناشف والكؤوس

الباشـا: جميل. لى رجـال يفهمون مـا افكر فيه فى الحـال .. وحالما انظر إليهـم هل تتصور يـا احمد بك؟ .. نعم يـدرك رجالى المحيطـون بى ما يدور فى خلدى ومـا احمـله فى قلبى ويلبـون رغبـاتى، وتأتى انت الآن تشوه الحقائق .. برأيك ما جزاء من يلق على الناس الأكاذيب؟

قل لى. اجبنى. لا تسكت. دعنى أسمع ما يدور فى رأسك الخرب. انت مـسكين .. رث، وتعتـبر نفـسك شيـئـا، وما انت اكـثر من مـسكين من مساكين الدرابين..!

احمد: انا مسكين لمن انكرنى، ولمن يعرفنى انا جد نطق.

لا ابيع الناس عرضى إننى لو ابيع النّاس عرضى لنفق

الباشا: ... ما هذا الهذر ..؟

احمد: أعد خمسين عاما ما على يد لا جنبي ولا فضل لذى رحم.

الباشا: فيل..

احمد: قلعة..

الباشا: ... انظر كيف تخسر. (يقتل احد احجار احمد) ياطين السماكين، يا انتن من ريح الدباغين (يضحك ويضحك الباشوات).

- احمد يحرك حجرا آخر فيقتله الباشا .. ويضحك ..

احمد: اني اذا خفي الرجال وجدتني كالشمس لا تخفى بكل مكان

- يدور الباشا حول الرقعة مسيطرا .. متباهيا

الباشا: بان مصيرك المحتوم مظهر .. تهيأ لتقدم هدية خسارتك الى

- احمد يجلس على الارض لينظر الى الا رقعة

- الباشا يذهب الى احدى موائد الطعام ليتناول الطعام والفواكه ويمس يديه بماء الورد.

احدهم: ما هو المصير المحتوم الذى ظهر يا مولانا..؟

الباشا: حتى اللحظة ... الأمور تسير لصالحنا (يصيح ..) شراب .. حلويات ..موسيقى.

- يسرع الخدم .. يتراكضون ملبين اوامر الباشا حاملين الصحون
- تصدح الموسيقى..
والآن .. ماذا ترى ،،،؟
احمد: ارى فيلا فى مواجهة فيل .. تحمى فيلك قلعة راسخة وبيدق يذود عن حياض، ...و...
الباشا: .. بينما انت مكشوف كالطير فى فضاء لا حد لمداه او سعته، اذا قدر لنا الفوز فستكون العناية الربانية هى السبب...
احمد: تمنى نفسك بفوز ساحق .. يا مولانا
الباشا: نعم.. فوز ساحق - يسحقك ويخلصنا منك الى الأبد، كما خلصتنى اعداد انتصاراتى السابقة على اعدائى جميعا.
احمد: لا تبتهج ودع عنك ابتهاج المهيج ..! لم تنته اللعبة بعد، المهم، ليس الشعور الآن،بل عندما تنتهى اللعبة ولمن ستكون الغلبة
الباشا: ماذا تريد أن تقول؟
احمد: اقول إنك الآن، فى اعسر امتحان يمر بحياتك .. - صمت - بدأت تقلق؟
الباشا: انا .. اقلق؟

احمد: نعم .. ليقينك أنى أقول الحق..

الباشا: الحق .. تتكلم عن الحق ..؟ أى حق هذا؟

احمد: حق ان لعبتنا هذه ليست لعب شطرنج مجردة، بل هى احدى أهم المحاولات .. فى الصيد والقنص الاجهاز ..! لمن اللعب الآن..؟

الباشا: لك

احمد خرجنا بكرة .. سحراً، عشاءً، بعدما انتصف النهار. فصدنا ارنباً وبنات آوى، اخذنا الفيل، وانفلت الحمار.

- يتحرك كبير امناء التشريفات .. يلحق به اثنان
- احمد ينظر الى الحركة .. الباشا ينظر ايضا
- كبير الامناء مع الاثنين فى ركن منزو.

انظر الى كبير امناء تشريفاتك يا مولانا. حقود .. لا يحبذ صراع العقول بل يريد حسم المعارك السريع .. انظر الى اشمئزاز نظرته، وكراهيته لى .. ومقته لرياضة العقل ....

الباشا: العب ولا تثرثر..

احمد: العب ترسك فى الوسط . احسنت. اذن قد ارتفعنا من الكعاب الى الدوامات واصبحنا على ما امسينا.

- تنحسر الاضاءة عن لعبة الشطرنج. يضاء كبير الامناء مع الاثنين
كبير الأمناء: هذا الصعلوك ماهر .. وحاذق، ولا اشك انه سيفوز
الأول: ... واذا ما فاز .. فسيستوزر معنا.
كبير الأمناء: لهذا ارى ان مولانا الباشا يعبث بالمقدرات دون تقدير عميق للنتائج.
الثانى الويل لسليل الجوع والفقر اذا ما فاز، واذا ما اطلقت يده فى مقدراتنا..
كبير الأمناء: أن اذن علينا أن لا نرحمه.
الأول: لن يرحمك احد يا احمد .. فزت ام لم تفز..
كبير الأمناء: يكفيه انه نازل مولانا فى مبارة الشطرنج .. ونجرأ على المباراة مع مولانا .. املاً بالفوز والاستيزار.
الثانى ما كان ينبغى ان تتم هذه اللعبة .. بل ان يتم الاجهاز على هذا الصعلوك بمجرد دخوله إلى هنا.
كبير الأمناء: اعرف مولانا واعرف انه يريد التخلص من شر هذا الصعلوك علينا نحن ان ننهى كل شىء .. سواء فاز او خسر .. خطة القضاء عليه موضوعة والأمرواضح من مولانا.

الأول: كيف..؟

كبير الأمناء: ينبغى ان تكـون نهاية الصعلوك على ايدينا نحن الثلاثة، بلا ضجة او دراية من احد، نخمد انفاسه دون شهود عيان.

- تنحسر الاضاءة عن الثلاثة لتعود الى رقعة الشطرنج.

الباشا: الآن ادفع بالقلعة الثانية

- احمد مطرق

اراك مطرقا؟ يغـزوك شعـور بأنك انتهيـت .. وستمنحنى فـرصة التمتع برأسك العنيد وهو يتدحرج بين قدمى.

كم مرة نصحتك أن تتنعم بنعمتى .. ولا تشتمنى .. سواء بكتاباتك .. ام بكلماتك امام المارة ..ابناء جدتك، ضعاف النفوس الذين يغريهم القذف بوجه النعمة.

احمد: اهل النقمة..!

الباشا من..؟

احمد ابناء جلدك .. الـغرباء عنا .. عن أهلنا، عن ديارنا .. عن ارضنا .. ابناء جلدتك نقمة، وليسوا ابناء نعمة .. أهل تجويع .. وترويع..!

الباشا: نحن اسيادكم .. نحن..

احمد: انتم سلالة الفتك .. والتخريب. انت نفسك - سليل هولاكو ..
وبقية من حثالة المغول ..وعنوان خراب الديار والمدن والقصبات وستبقى
اذا ما بقيت محتلاً لديارنا ستبقى سيفا مشهورا بوجه الاخيار والشرفاء
من ابناء جلدتي ووطني.

الباشا: ألا تخشى ان اقضي عليك اللحظة..؟

احمد: لا .. لا أخشى. اقض .. فإن سلالتي ممتدة، من قبلي ومن بعدي،
وسيبقى تاريخنا يكتب بالمداد المدرار .. بالدم وبالدمع .. حتى يكتب
آخر كلمة عنكم .. وعن زمنكم .. وعن ..

الباشا: (يصيح) ابن الزانية ..! لماذا لا تكف اذاك عني؟ لماذا لا تنصرف
الى تخيلاتك عن مدينتك المتخيلة .. وتذهب عن طريقي والتدخل في
شؤوني وفيما افعله في مملكتي ورعيتي..؟

احمد: ليست مملكتك .. ولا رعيتك ..! بل بلدي .. داري .. اهلي
وديار اهلي وجدادي وموطن امجادي.

الباشا: سارمي برأسك الى المزابل.

احمد: اعرف .. ولكن عقدت معي اتفاقاً .. في حالة فوزي ..وسأفوز..

الباشا: لا مفر من نيل رأسك أيها الماكر.

احمد: ما زلنا نلعب.

الباشا: انت، يا ابن الزانية، لاتلعب .. بل تعمل.

احمد: افضل اللعب هو العمل. انا اعمل .. لانك انت ايضا لا تلعب بل تعمل.

- فجأة تبدأ حركة واسعة من جميع افراد الحاشية والخدم انفرادات .. همسات .. ركض .. دخول رماح واسلحة تغير اماكن الحرس .. اختباءات..

الباشا: اراك قلقت وزاغت عيونك

احمد: اراك كيف تعمل ..فى حركة حاشيتك وحرسك وخدمك

الباشا: رأيت او لم تر .. ستخسر ..

احمد: مولاى الباشا

الباشا: نعم .. يا زنديق.

احمد: يا من اذا ما جاءنى زائراً

سعى برجليه الى الحتف

اما ترى رخ يدى جائلاً

وشاة اذنيك على الكشف؟

كش .. مات.

الباشا: كيف؟

احمد: سأقول لك :- نصحني ابى، وكـان مؤرخا صعلوكا مثلى: احذر يا ولدى جانب الرخ، واخش وثوب الفرس .. واتفق نزوات الفيل.

الباشا: ماذا قلت..؟

احمد: قلت: كش ملك..

البـاشـا: احس مـرارة الحنظل فى بلـعـومى .. انا مـشلول .. مـشلول .. مشلول بالقسوة وخشونة هذه الكلمة .. كش ملك...!!

احمد: انها ليست كلمة، بل صفعة تلطم الأفئدة مثل الوجوه.

البـاشا: الرمـاد ينتشـر فى فمـى .. وفى عيـونى .. وفى داخلى .. ويغلق على منافذ التنفس.

احـمد: (يصـيح) كش ملك - تدوى الكلمـة بصـدى كبـير - .. مـات الملك.

الباشا: لماذا تصيح..؟

احمد: لانك انتهيت...!

- حركة واسعة من جميع الحاضرين وادعية وشتائم ضد احمد

الباشا: (يصيح) امنعوا ان يسمح لأحد بالتحدث بنتيجة اللعبة..
إمنعوا خـروج النتيجة من هذا المكان إلى اى مكان..! الجلد حتى الموت جزاء من يتفوه بخسارتنا، سواء داخل القلعة ام خارجها يمنع خروج اى كان من القلعة..

كبير الأمناء: نتيجة اللعبة سر مختوم .. تختم به الشفاه .. شفاه الجميع .. البوح بـهذا السر هتك لـشخص مولانا الأفـخم، مالك الممـالك، وملك الملوك..

- حركة وجلبة وصراخ يأتى من الخارج

الباشا: ما هذا؟

يدخل الحرس وهم يدفعو امامهم الخادم العجوز حسن وهو متهالك.

الحارس: الخـادم حسن، يا مـولاى رأيناه يخرج من حـجرة قاعـة اللعب مسرعا نحو الباب الخلفى المؤدى الى خارج القلعة.

كبير الأمناء: لماذا كنت تسرع بالخروج من القلعة يا حسن؟

حسن: (مرتجفاً) انا ... انا ...لـ .. لم...

كبير الأمناء:علمت بنتيجة اللعبة، وأردت

حسن: آه ..آ ... نعم .. نعم علمت ...

كبير الأمناء: وكنت تريد إذاعة الخبر بين العامة والدهماء...؟

الباشا: ... أهذا ما كنت تريد القيام به؟

حسن: مولاى .. لا ..لا..لا

الباشا: الى اين كنت تريد ان تخرج اذن؟- حسن يصمت-

هل انت من المماليك..؟

حسن: لا انا من أهل هذا البلد..

الباشا: ولست من اهلنا؟

احمد: حسن من اهلنا. لكن الحاجة الملعونة،دفعته ليعمل خادما فى مساكنكم.

الباشا: تسكت أنت ...

احمد: لكنى المتصر فى اللعبة .. والمقبل على الاستيزار حسب اتفاقك معى-

الباشا: (يصرخ) اسكت .. - صمت الباشا يتجه الى حسن -

انت تتجسس علينا أيها الخادم؟ قل لى .. لصالح من تعمل ايها العجوز؟ انطق .. هل انت اخرس؟ - ثم يصيح الباشا - اخرسوه .. اسكتوه اسكتوا كل من تشكون بولائه لنا.

- الحرس: يجرجرون حسناً الذى يولول - كيف الباشا وحده فى بقعة ضوء -

كيف حدث هذا؟ كيف انهدت جميع اركان الاطمئنان على نفسى؟

كل الموجودات حولى قد اهتزت ومالت وآلت الى السقوط .. ارتبكت معانى الاشياء جميعا. (يكون كبير الأمناء وافراد الحاشية كل فى بقعة ضوء)

كبير الأمناء: لا .. لا يمكن أن اتصور ان صعلوكا مثل هذا الرث، يصبح واحدا منا، ويعيش معنا، ويتكلم فى حضرتنا، بل الانكى من ذلك، سنسعى لاقدر الله ..، الى كسب وده ورضاه، كى لا يكشف أسرارنا وينقلها الى عامة المملكة .. وهو صاحب اللسان اللاذع الذرب والقلم اللئيم.

أحد الحاشية بل إنه يمكره ودسائسه سيؤلب الباشا ضدنا ويفوز بمحبته .. عندئذ ستتساقط جميعاً .. واحداً اثر واحد.

رئيس الحرس: سينقض علينا .. ويطيح برؤوسنا .. ويدمرنا..!

- فجأة يصرخ الباشا ..

الباشا: كفى .. يا اشباه الرجال..! ما هذا؟ - يلتفت إلى أحمد ..

بهدوء -

احمد: نفذ،يا مولانا، بنود الاتفاق بيننا.

الباشا: اراك متلهفاً لتسلم الجاه والخطوة..!

احمد: قطعاً لا يعنيني هذا، ولكني اريدك ان تعترف بفوزي وانتصاري.

الباشا: انا ..؟ اعترف بك .. ولك بانتصارك على؟؟ صعلوك رث زائدة .. انت زائدة ينبغي التخلص منها لا الاعتراف بها .. او لها .. اتريد يا ابن زانية الزانيات .. أن اعترف بنصرك على مالك الممالك .. وملك الملوك..؟؟ امجنون انت...؟!.

احمد: منصور .. انا منصور لا مجنون، اتسمع؟ منصور عليك وعلى حاشيتك وجندك وقلعتك، ودسائس كبير امناءك، وقوة حرسك وى عقر دارك.

الباشا: قف مكانك لا تتحرك قيد انملة - يصيح - حرس..حرس..!

احمد: ضعيف، كما عرفتك دائماً، ضعيف ضعيف ..! لا تستطيع المواجهة بقوتك وبعقلك وبطاقتك الذاتية. لا تواجه الا بالحرس يا رجلاً نصفا.

الباشا: انا...؟

احمـد: ان كنت رجلاً حـقاً، وكامـلاً دع الحرس جانبـاً، واجهنى وجـها لوجه .. وحجة بحجة ..- يظهر الحرس

الباشا: (بعد صمت) انصرفوا ينصرف الحرس - ماذا تريد؟

احمد: بل ماذا تريد انت؟

البـاشا: التـخلص من الزائدة الـرئة ... السامـة ... - (يذهب الى حـيث كبير الامناء) - ماذا اعددتم للتخلص من هذا الملعون..؟

كبير الأمناء: المغطس جاهز .. يا مولاى الباشا.

الباشـا:(الاحمـد) ايها المؤرخ .. رغم نذالاتـك التى تثيـر الاشمئـزاز فى نفـسى .. لكن القـدر حاباك، وجلل عـارك بالفـوز. اعـترف لك. اليـوم بالذات ساصدر فرماناً باشوياً بتعيينك فى المناصب التى وعدناك بها .. - إلى كبير الأمناء اليس هذا عين الصواب؟

كـبـيـر الأمنـاء : عـين الصــواب يا مـولانـا .. لكن ليس قــبل بعض الاستعدادت الضرورية.

احمد: الاستعدادات الضرورية؟ ما هى ....؟

كبير الأمناء: لا تتعجل يا احمد بك . ستعقد اجتماعاً خاصا نتدارس فيه ما نستطيع ان نخدم به الملة...

- ينعزل كبير الأمناء فى بقعة ضوء مع الحاشية.
- الباشا هو الآخر فى بقعة ضوء أخرى يرقب ما يجرى
- احمد وحده فى بقعة ثالثة،، ينتظر .. يترقب .. منتهباً.

احمد: اجتماع خاص؟ استعدادات ضرورية؟ ينبغى الا اطمئن لاحد او لشىء.

كبير الأمناء: سنلعب معه لعبة القارب والحبل فى المغطس ... اسمعونى جيدا ، سندخل جميعنا، مع الباشا فى المغطس .. نتحلق حول الباشا .. انتم فى البدء نكون سعداء .. لاعبين، جذلين، ضاحكين .. ولا تنسوا التراشق بالماء بكل سعادة وحبور.

احمد: ما هو هذا الاجتماع الخاص؟ وماذا يقصدون بالاستعدادات الضرورية التى يزمعون اتخاذها...؟

كبير الأمناء: .. عندما نصل الى المياه العميقة .. ندفع هذا الصعلوك إلى مياه عمقها ثلاث قامات تقترب انت منه .. تغطس .. وتقترب بالذات من ساق أحمد أما انت .. فتداعبه عند رأسه برشقة من المياه .. ثم تدفعه الى اسفل المغطس .. بعد ان تجره انت من ساقيه: سحب من تحت ، ودفع من فوق.

احمـد: يا الهى القـدير. اننى لا املك صورة واضـحة عـما يجـرى، ولا اعرف على وجه الدقة اى حياة سادخلها مع هذه الزمرة..!
اعترف اننى خائف الآن اكثر من اى وقت آخر. ..
الباشا: عجلوا (يصيح) هل انتهيتم ؟عجّلوا.
كبير الأمناء: الطيبـة نعم يا مولانا .. القاعة المحاذية للحمام الكبيـر مهيئة هذه القاعـة هى الأقرب الى قلبكم الرقـيق والى روحكم الطيبـة فى مثل هذه المناسـبات العزيزة ..- يقـترب من احـمد - يا احمـد بك استـعدادا لتنفيذ امـر مقام الباشا الافخم، وقـبل اصدار الفرمان الباشوى بتـعيينكم واستيـزاركم .. سندخل كلنا الى المغطس .. الى قـاعة حـمام السـباحـة لنمارس رياضتنا المرحة .. وهى السباحة، الجماعية بمعية الباشا، كى نزيل عن اجسادنا تعب الترقب وارهاق المباراة.
احمد: نسبح جميعاً .. فى المغـطس .. فى .. حمام السباحة، قبل اصدار الفرمان؟
كـبيـر الأمناء: بالضـبط .. وقـبل ذلك سـيوزع عـلينا عصـيـر الاناناس وعصيـر البرتقال الخالص المـزوج بلب الجوز ومسحـوق اللوز .. وبعد ذلك سندخل الغطس. - يلتفت الى الباشـا - تفضل يا مولانا، وتفضلوا

انتم ايضا يا اصحاب المعالى .. اما انت يا احمد بك فيمكنك الانتظار قليلاً .. وحالما نهيىء كل شىء .. سنرسل بطلبك.

- يسير الباشا .. يلحق به كبير الأمناء .. ثم الحاشية .. اثناء مرورهم ينظرون الى احمد .. يضحكون او يبتسمون ابتسامة خاصة ذات معنى.

- ما ان يبقى احمد وحده .. حتى يظهر الخادم العجوز، حامل الجرس، وهو يحمل صينية عليها اقداح العصير .. يتلفت حوله حذرا..-

الخادم: ارجو آن تكون سعيداً .. معافى يا سيدى..!

احمد: بخير .. اشكرك.

الخادم: اسمعنى بسرعة وانصرف بسرعة.

احمد: من انت؟

الخادم: انا خادم فى هذه القلعة .. ارعبنى ما فعلوا بالخادم حسن الذى اخذوه قبل قليل من هنا بتهمة التجسس..

احمد: وماذا تريد منى؟

الخادم: المغطس الكبير جاهز ... ستسبحون .. وسيغرقوك جميعهم بحيث لا يتركون لك مجالا للخلاص.انهم الآن هناك يتناولون جرعات من الخمر القوية التأثير .. كى يعبثوا بك وبحياتك ويجرونك الى قاع

المغطس. ستلعبون فى البداية بكرات اللعب فى الماء .. ثم يحولونك انت الى كرة يلعبون بها .. حتى النهاية المقررة لك .. الغرق..

احمد: وكيف اخرج من هنا .. والأبواب حتما مقفلة؟

الخادم: اعرف ممراً سريا قديما - لم يستعمل منذ سنوات كثيرة. اتبعنى لنهرب خلال هذا الممر. لا اريد الحياة هنا ولا اريد البقاء هنا بعد الآن ..! هيا اسرع..

- يخرجان -

(وتبقى النهاية مفتوحة لاجتهاد أو رؤية .. أو حل آخر)

نهارات الليالى الألف

عبد الخالق الركابى

اشـــارة

استلهم المؤلف فكرة هذه المسرحية من المحـاكمة التى جرت فى مـصر عام ١٩٨٥ لكتـاب «الف ليلة وليله» وقد اسـتفاد من المواضـيع المنشورة فى الاعـداد الثلاثـة التى خصـصـتهـا مـجلة «فصـول» لذلك الكتـاب، ولاسيما الوثائق الخاصة بالمحاكمة للدكـتور محمد حسام محمود لطفى ـ وقد ضمن المسرحية فقرات منهـا ـ كما استفاد من الدراسة الرائعة التى كـتبـها الدكـتور مـهند يونس عن الكتـاب نفسـه بعنوان «الصـمت بين ليلتيـن» والمنشورة فى جريدة «الثـورة» البغـدادية بتاريخ ٢٤/ ٢/ ١٩٩٣ و٢/ ٦/ ١٩٩٣.

إلى بناتى الثلاث....

بان.

وزينب.

وشهد.

بمناسبة حبهن لشهرزاد

الفصل الأول

المشهد الأول

(تضاء مقدمة المسرح ـ قاعة محكمة خاوية، تؤطرها من جهاتها الثلاث ستائر داكنة وثقيلة. إلى اليسار منصة ضخمة، وفي مستوى ادنى منها ثمة منضدة وكرسي. إلى اليمين منصة اصغر. ينتصب قفص الاتهام في المسافة الفاصلة بين المنصتين».

المتهم: «يندفع داخلاً من الجانب الايسر، حيث ترتفع جلبة اصوات حشد غير ظاهر» اسرعي في ابعادهم... دعي الحارس يعينك في ذلك... فليطبق الباب في وجوههم ان اقتضاه الامر، لم يبق على موعد عقد الجلسة سوى دقائق «انه وسيم، مديد القامة، ببدلة بيضاء على احدث طراز، يضع وردة حمراء في عروة سترته. شعر رأسه المسترسل يختلط بشعر لحيته ـ وقد خطهما الشيب ـ منظره على العموم يوحي بزير نساء لا تخطئه العين ـ ينهمك في تعديل هندامه: يعيد ربطة عنقه إلى موضعها، ويتلمس الوردة، مرجلاً باصابعه شعره إلى الوراء» يا للاوغاد!... كادوا يمزقون ملابسي!.... «ينتبه إلى المتفرجين الجالسين في عتمة الصالة» آه.. عذراً.. كنت احسب القاعة خالية!

«يسمع صوت اصطفاق باب، ومعها تتلاشى الجلبة»

المحامية: «تندفع فى اثر المتهم. أنها بدورها ممشوقة القوام، يزيدها روب المحاماة سحراً» خلصتك منهم... انتشلتك من بين براثنهم كما سانتشلك بعد وقت قليل من بين ايدى القضاة... أقدر لى منذ الازل أن اخلصك من المصائب والمحن؟

المتهم: «بصوت خفيض، مشيراً برأسه فى اتجاه الصالة» على رسلك.. انهم هنا ايضاً!

«يواصل الاثنان حوارهما بصوت خفيض حتى نهاية المشهد، وهما يقفان او يتمشيان قرب قفص الاتهام، حادجين المتفرجين من وقت لآخر بنظرات حذرة»

المحامية: تباً.. كدت افضح نفسى!

المتهم: يبدو أنهم حجزوا اماكنهم مسبقاً، شأنهم حين يهرعون لمشاهدة مسرحية مسلية!

المحامية: لقد احيت محاكمتك شهرتك من جديد، فعدت كسالف زمن مجدك الغابر يشار اليك بالبنان.

المتهم: «متهكماً» شتان ما بين الشهرتين؛ فانذاك كنت ملكاً مرهوب

الجانب فى حين أنا الان صاحب دار نشـر لا يطمح إلى اكثر من أن ينال عطف المعجبين.

المحامية: بذلك تمتـاز شهرتك الجديدة على القديمة كـامتياز راعى الفكر على الجلاد!

المتهم: المـلك يبقى ملكاً، ولا يوصم بما توصم به العـامة سـواء اقتص ام عفا.

المحامية: ذلك صحيح من وجهة نظر الجلاد لا الضحية!

المتهم: «بامتعاض» اوكلتك سعياً لإدانتى أم تبرئتى؟

المحامية: «ضاحكة» انما أبصرك بأهمية شهرتك الجديدة.

المتهم: ستبقى شهرة بليدة لا تستدعى الفخر

المحاميـة: اكل هذا التزاحم حولك على امتـداد ممرات المحكمة حتى باب هذه القاعة لا يستدعى الفخر؟

المتهم: قطعاً... فما الذى اخرج به من ذلك التزاحم غير اضواء كاميرات تعشى العـينين، وطلب تواقيع على اوتوغرافات، فـضلاً عن اسئلة غـبية عن مـحل الخياطـة الذى يفصل لى بدلاتى... وعطرى الاثيـر.. ومطربى المفضل؟

المحامية: لولا اشتهار قضيتك بملاحقة الصحافة ووكالات الانباء لك، لحسمت محاكمتك بصمت فى يومها الأول، ولما تتابعت هذه المدة الطويلة.

المتهم: عجباً!.... أما من وسيلة لكسب قضيتى غير الضجيج والفضائح؟

المحامية: لامناص من ذلك، فطابع هذا العصر هو الفضيحة... ما من امر يشغل الناس الان مثل الفضائح والصراعات الشاذة.

المتهم: آه منك يا سيدتى! ألابد لنا من مجاراة ذلك؟ ألم تردعنا فضيحتنا الكبرى منذ مئات الاعوام؟ أيريدونها علنية الى الابد؟ أما لقننا ذلك المخدع المرصود بسيف الجلاد حكمة التخفى والكتمان؟

المحامية: مولاى!.... أعلى أن انبهك بضرورة نسيان ذلك المخدع اللعين؟ لقد تقوض واندثر، ولم يبق له من اثر إلا على صفحات «الف ليلة وليلة»... فانسه... بل انس انك كنت ملكاً يوماً من الايام!

المتهم: أو تظنين الملك امراً يسهل نسيانه؟ يكفى المرء أن يغدو ملكاً يوماً واحداً ليبقى كذلك إلى الابد. أنه كالوشم؛ لا سبيل إلى ازالته يا شهرزاد!

المحامية: وهذا ايضاً انسه... انس اسمي القديم شهرزاد، وتذكر فقط أنني الآن محاميتك.

المتهم: «يضحك بمرارة» محاميتي!... هه!.... مهنة مستحدثة لم تكن بنا حاجة اليها انذاك. كانت ايماءة مني تكفي للاطاحة برأس!

المحامية: وإيماءاتك تلك انسها ايضاً؛ فقد بطل سحرها إلى الابد.

المتهم: «بنزق صبياني» ما اكثر ما تطالبيني بالنسيان!.. منذ دخولك مخدعي، وأنت دائبة على تلقيني فن النسيان!

المحامية: النسيان نعمة يا مولاي، فمن دونه يستحيل على الانسان أن يعيش عمره بسلام، فكيف بنا نحن الاثنين وقد حزنا اعماراً متجددة. لا عمراً واحداً؟ تمسك بالنسيان أن كنت تنشد الخلود ـ وذلك هو الثمن فما من سبيل للوصول للمستقبل الا بنسيان الماضي.

المتهم: حكمة قد لا يمتثل لها كل من ينشد الخلود.

المحامية: ليس الخلود قراراً يتخذه المرأ بنفسه، إنما هو سر تكتشفه الاجيال اللاحقة في ما بعد؛ فما من شاعر تغنى ببيت واحد، وما من عظيم بذل عمره سعياً وراء المجد.. بل ما من انسان خلف ولداً من بعده إلا وطمح إلى ابقاء ذكر له.

المتـهم: أولـم يكن ذلك دافـعك اذن وأنـت تسـردين على حـكاياتك على مدى الف ليلة وليلة؟

المحامية: (ملمحة بمكر) حينها كان ثمة ما يشغلنى عن ذلك!

المتهم: أعدت إلى لدغاتك؟

المحامية: أولم اكن اعيش حياتى بالتقسيط؟ كل ليلة بجزء من حكاية!

المتهم: وها أنت تعيشين الان إلى الابد!

المحامـية: بفـضل الناس؛ فقـد اكتـشفوا فى حكايـاتى تلك ما يسـتدعى انهماك الرواة فى سردها، وانكباب النساخ على كتابة نسخ منها، حتى لم تكد خزانة من خزانات الكتب فى مشارق الارض ومغاربها تخلو منها.

المتهم: وكانت خـزانة كتبى اولاها، لا تنسى ذلك؛ فلولا نسختى اليـتيمة تلك لما تعاقبت النسخ تباعاً حتى الوقت الحاضر.

المحامية: بل لولا سيف جلادك لما ابصر ذلك الكتاب النور!

المتهم: أتقولينها جادة أم متهكمة؟

المحامية: بل جادة من دون شك؛ فما اختمرت فكرة الكتاب فى ذهنى إلا على صدح ابواق حـرسك وهم يعلنون.. صباح كل يوم أن ثمـة عروساً سيضرب عنقها!

(ظلام)

المشهد الثانى

(ينطلق صدح ابواق والمسرح المظلم، ليستمر لحظات بعد اضاءته تنفتح الستارة الوسطية عن غرفة شهرزاد التى تعلو مستوى خشبة المسرح بثلاث درجات. فى منتصف الجدار المقابل ستارة مسدلة، إلى جانبيها رفوف كتب ومخطوطات. بمحاذاة الجدار الايمن دولاب بمرآة كبيرة، بالقرب منه كرسيان أو ثلاثة. بمحاذاة الجدار الايسر تمتد اريكة تضطجع فوقها دنيازاد وسط وسائد. الارض مغطاة بالسجاد، وهنا وهناك بضعة اصص زهور ونباتات متسلقة وابريق نحاسى مركون على رف. تجلس شهرزاد ـ وهى المحامية نفسها وقد تخلصت من الروب لتظهر بملابس تناسب دورها ـ على مقعد قرب رفوف الكتب، وامامها كتاب مفتوح مستقر على طاولة، فضلاً على شمعة مشتعلة)

شهرزاد: (ترفع رأسها عن الكتاب) ويلى عليك يا شهريار؛ أصدح ابواق هذا؟ أم صراخ رجولتك المطعونة فى الصميم؟

دنيازاد: (تنهض من الاريكة وتتجه نحو الستارة المسدلة) كأنى بك تمحضينه عطفك يا شهرزدا!

شهرزاد: مثلما تمحض المرضى العطف.

دنيازاد: ولكن... أمريض هو؟
شهرزاد: وما يكون من يأخذ النساء كلهن بجريرة امرأة واحدة؟
دنيازاد: ليس هذا بمـرض.. انما هو جنون! (تزيح الستارة جـانباً، فـتظهر نافذة مغقودة القمة ومزخرفة بنقوش بارزة، تظهر من خلالها زرقة سماء ضبـاح اوشكت شمسه على الشـروق) ها هم الحرس ورقد فتـحوا بوابة القصر الملكى، لينتصبوا إلى جانبيها باسلحتهم الشاكية.
شهـرزاد: (تطبق الكتـاب) ترى، باية اعين ينظر هؤلاء الحـراس إلى هذا الشارع وقد خلا من البشر بعدما كان يموج بهم قبل ثلاثة اعوام؟
دنيازاد: كان اجـمل شوارع المدينة، لا تهدأ الحركة فـيه ليل نهار، تخطر فيه الجوارى والغلمان، متبادلين النظرات والابتسامات و... المواعيد
شـهرزاد: واصـبح الان خاويا إلا من اوراق مـتساقطة تجـرفهـا الرياح، تختلس العـيون اليه النظر من خـلف الكوى والمشربيات والشـبابيك فى انتظار حصول الامر اليومى المروع.
دنيـازاد: ها هو الاب المفجـوع يقدم بخطى مـتخـاذلة، حامـلاً تحت ابطه الكفن!!
شهرزاد: (تنفخ مطفئة الشمعـة، وتنهض) آن له أن يستبدله ببدلة عروس

ابنته البيضاء الملطخة بالدم!

دنيازاد: انظرى اليه وهو يقدمه مشفوعاً بالتوسل والرجاء.

شهرزاد: (تطل بدورها من خلال النافذة) لاشك فى أنه يستغيث بهم ليمدوا له يد العون.

دنيازاد: وكيف يعينه من ليس فى وسعه أن يطرف باجفانه الا بامر ملكى؟

شهرزاد: ذلك شأن الانسان؛ مجبول على الأمل أبداً.

دنيازاد: أي أمل يرجى من بوابة قصر ما أنفرجت الا لتلفظ جثة احدى الضحايا؟

شهرزاد: لعله يأمل فى أن تستثنى ابنته من ذلك المصير.

دنيازاد: ترى ما الذى يجرى اللحظة فى مخدع شهريار؟

شهرزاد: ما الذى يجرى غير الامر المعهود: حيث هناك عروس تبلل بدلة عرسها باخر دموعها قبل أن تسلم عنقها لسيف الجلاد؟

دنيازاد: ياللهول!... كأننى بتلك التزاويق والنقوش التى تزين الجدران منداة تحت اول خيوط الشمس بالدموع.. لا بل كأننى بتلك الفسقيات المشقشقة فى حدائق القصر تفور بالدماء عوضاً عن الماء!

شهرزاد: حسبك... حسبك يا دنيازاد، كدت تفطرين قلبى.
دنيازاد: تأملى القصر كله: الا يبدو لك بقبابه البيض الناتئة تحت زرقة السماء اشبه بقبر هائل قائم على عشرات الاعمدة المرمرية؟
شهرزاد: (تترك موضعها) حسبك.. حسبك يا اختاه.
دنيازاد: خبرينى يا شهرزاد: اقرأت فى كتبك قصصاً تضارع هذه الجرائم اليومية عنفاً ودموية؟
شهرزاد: (تقترب من رفوف الكتب، وتتأملها بوله وحنان) قرأت فيها العجائب والغرائب، اطلعت فيها على ما يشيب له الطفل فى مهده، مررت فيها باحداث لو كتبت بالابر على اماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر، ولكن... (لحظة صمت) يبقى الخبر ليس كالعيان؛ فانهار الدم التى تجرى فى الحكايات لا تعادل قطرة واحدة تنزف تحت السمع والبصر.
دنيازاد: وياله من نزيف لن يعرف التوقف عند حد!
شهرزاد: ذلك لأن كل عروس تسلم نفسها غنيمة باردة لسيف الجلاد.
دنيازاد: أفى وسعها الا أن تكون كذلك؟
شهرزاد: لم لا؟ لو لم تعول كل واحدة منهن على جسدها وحده ربما لم يستمر النزيف حتى الآن.

دنيازاد: على أى شىء تعول عروس لا تدخل مخدع شهريار الا لهذا الغرض؟

شهرزاد: (تشرع فى ذرع الارض) اسمعى يا أختاه... اعترف لك بأننى لا املك جواباً عن هذا السؤال لكونى ما ازال بمنأى عن الخطر... ولكن... يكفى أن احمل إلى ذلك المخدع لادافع عن وجودى بمختلف السبل.

دنيازاد: (صارخة) اوتجرؤين على مجرد التفكير فى دخول ذلك المخدع؟

شهرزاد: ليست الجرأة ما ينقصنى كما تعلمين، فسبق لك أن اصطحبتنى عشرات المرات ـ ونحن متنكرتان فى ملابس الرجال ـ فى جولات قمنا بها فى الاسواق والحانات والتكايا والخانات، لنقنص الحكايات والاخبار من افواه الدراويش الصعاليك وشذاذ الافاق.

دنيازاد: ولكن هذا غير ذاك؛ فالداخل إلى ذلك المخدع لا سبيل له إلى الخروج منه.

شهرزدا: انا ادرك صعوبة ما افكر فيه، لكننى لا اكتمك بأننى ما من صباح انتبهت فيه على صدح تلك الابواق ألا وشعرت بالزغب وقد قف على جسدى كله؛ وكأنى انا المعنية بالامر!

دنيازاد: (تلتفت نحو النافذة بحركة مفاجئة) ها هم العبيد يخرجون بالضحية مضرجة بالدم!

شهرزاد: (تزاحم اختها على النافذة) ياللأب الثاكل!... انظرى اليه. لقد صعقته الفاجعة، فبهت فى موضعه كالصنم!

دنيازاد: يا الهى!.... من يصدق أن هذه الجثة الهامدة المرتجة فوق اكف العبيد هى العذراء نفسها التى ولجت البوابة البارحة منتصبة القامة كالرمح!

شهرزاد: (تسدل الستارة بعنف) كفى!.... لقد سئمت من رؤية هذا المنظر المروع كل صباح.

الأم: (ترتقى الدرجات الثلاثة ـ داخلة الغرفة) وأنا بدورى سئمت من صعود هذه الدرجات نحو غرفتكما يومياً لتذكيركما بضرورة النزول لتناول الفطور؛ فابوكما على وشك القدوم من القصر الملكى.

دنيازاد: ساسبقك فى النزول يا شهرزاد (تخرج).

شهرزاد: شتان بين سأمينا يا أماه، فازدراد اللحم الحار على مائدة الفطور هو غير منظر اللحم البارد المضرج بالدم!

الأم: صدقت فالأول يشبع البدن، والثانى يقرف النفس، وما احوجنا ـ

نحن الاحيـاء ـ إلى الشبع والارتواء.... فـحـتـى زهورك هذه «تلتـقط الابريق وتشرع بسقى الاصص) بها حاجة إلى الرى.

شهرزاد: شدما اخـشى أن اتحول إلى وحش... تصورى يا أماه.... ما من مـرة هبطت إلى الاسفل بعـد رؤية هذا المنظر المخـيف الا شعـرت بأننى مقـبلة على قتال لا على تناول الفـطور؛ شاعرة بصـرير اسنانى يتردد فى قحف رأسى وكأننى ألوك عظاماً بشرية لاطعاماً!

الأم: دعى التـفكير فى هذا الامـر جانباً، اسـدلى بينك وبينه سـتارة اكـثر سمكاً من هذه.

شهرزاد: ليت اسدال السـتـار يحول بين ابى وبنات الناس وهو ينتقى كل يوم واحدة منهن لمخدع شهريار.

الأم: وما شأنك أنت بذلك يايمامتى مادمت بمنجاة منه؟

شهوورزاد: وهل أنا بمنجاة من الموت يا أماه؟

الأم: (تدع الابرق فى موضـعه، وتتقدم من ابـنتها جزعـة) ما هذا الكلام الغريب يا شهـرزاد؟ اخشى أن تكون كتبك تلك التى ادمنت قـراءتها قد افسدت عقلك!

شهرزاد: ولكن أليس مآل البشر إلى الموت فى نهاية المطاف؟

الأم: تلك مشيئة الله التى لا مرد لها.

شهرزاد: ما دمت ميتة يوماً ما فما اجدرنى بأن اجعل لحياتى معنى وذلك بالاقدام على عمل يبقى لى ذكراً من بعدى الى الابد.

الأم: وهل لعملك ذاك علاقة بما يجرى فى الجانب الآخر من هذه الستارة؟

شهرزاد: اوتحسبين أنه سيكون غير ذلك؟ فثمة هاجس واحد يمسى الناس عليه ويصبحون، هاجس اسمه شهريار!

الأم: وما الذى فى وسعك القيام به بأزاء ملك مرهوب الجانب مثله؟

شهرزاد: لو كنت اعلم كنت اعمد إلى التردد والاحجام؟

الأم: هكذا عهدتك منذ صغرك. جريئة كأنك ذكر فى اهاب انثى.

شهرزاد: وهل يفترض بالجرأة أن تكون وقفاً على الذكور من دون الاناث؟

الأم: بذلك جرى العرف يا أبنتى.

شهرزاد: انه عرف اتخذه الرجال وسيلة لاذلال النساء.

الأم: ولكن الرجل يبقى رجلاً والمرأة امرأة.

شهرزاد: تماماً، ولذلك اطمح إلى أن اتصدى لهذا الامر باعتبارى انثى.

الأم: (بنبرة محذرة) مثل الاناث اللائى سبقتك إلى مخدع شهريار!
شهرزاد: كلا.... فهاتيك الاناث عولن على سلاح الجسد وحده.
الأم: أوكن يملكن سلاحاً غيره؟
شهرزاد: لم لا؟ لابد من وجود سلاح آخر ينـقذهن من مصيرهن المحتم اما مـا هو ذلك السلاح؟ فـذلك ما أنا عـلى استعـداد للتضـحيـة بنصف عمرى لقاء العثور عليه!

(ظلام)

المشهد الثالث

(منظر المشهد الثانى نفسه. الستارة مفتوحة حيث تبدو سماء الغروب من خلال النافذة، شهرزاد مستغرقة فى القراءة فى كتاب)
شهرزاد: اشـعلى الشمعة يا دنيـازاد، لم اعد استطيع تمييـز الكلمات عن بعضها.
دنيـازاد: (تطبق كتـاب اختـها) ارجـئى قـراءتك لنهار آخـر، فبـين لحظة واخرى ستصدح الموسيقى معلنة زفاف عروس جديدة إلى شهريار.
شهرزاد: (تجيـل عينيها حولها دهشـة) ياه.... لقد اوشكت الشمس على الغروب من دون ان اشعر بذلك!

دنيازاد: وانى لك أن تشعرى به وأنت ماضية فى استلال الكتب من الرفوف واحداً بعد الآخر، والاستغراق فى تقليبها؟

شهرزاد ياللفوضى!... لقد ارتفعت من حولى كالتلال!

دنيازاد: لقد امضيت سحابة نهار كامل نابشة ومقبلة وقارئة فى عشرات الكتب... عم تبحثين يا شهرزاد؟

شهرزاد: (تشرع فى اعادة الكتب إلى رفوفها) ابحث عن حكاية ساحرة سبق لى أن قرأتها فى كتاب غاب عنوانه عن ذهنى. حكاية اسمها «حكاية التاجر والجنى»

دنيازاد: عم تتحدث تلك الحكاية؟ خبرينى بموضوعها لعلنى أهديك إلى الكتاب الذى يحتويها.

شهرزاد: انت الكسول تهدينني إلى كتاب؟!

دنيازاد: وما ادراك بأننى لا اطلع على كتبك بغيابك؟

شهرزاد: انت؟ محال.... اذ لا عمل لك سوى الاطلال من خلال النافذة، ومراقبة بوابة قصر شهريار وهى تنطبق كل مساء على عروس، لتنفرج صباحاً لافظة اياها جثة هامدة.

دنيازاد: وأنت؟ الا تشاركينى فى تلك المراقبة؟

شهرزاد: لا حيلة لى فى ذلك؛ فبوجـود هذه النافذة اللعينة لا مفر لى من ان اغدو شاهدة على جرائم يومية لها اول وليس لها اخر.
دنيازاد: وما الضير فى مراقبة امر لا جريرة لنا فيه؟
شهـرزاد: بل الضير كل الضـير يا أختاه؛ فـمع كل اطلالة اشعر بى أفـقد جزءا من انسانيتى، حتى أننى لحظـة أمد يدى لالتقاط المشط ارتجف هلعاً خوفـاً من أن تكون اظافرى قـد تحولت إلى مخـالب.... لابل لحظة اقف امام المرأة افرج عن شفتى لاتأكد من أن انيابى لم تنم اكثر من اللازم!
دنيازاد: يالها من هواجس مخيفة لم تخطر لى يوماً ما!
شهـرزاد: شدما اتمنى أن اغلق هذه الـنافذة بالآجر.... لابل بالحـجر.... بضعة أحجاز يوضع بعضها فوق بعض من قليل من الملاط....
دنيازاد: (مقـاطعة) ولكن ذلك لا يمنع الدم من أن يستمـر على نزيفه فى الجانب الاخر.
شهرزاد: صدقت.. ولا يمنع ايضاً الكوابيس من أن تؤرق على نومى.
دنيازاد: أهناك ما يؤرق عليك نومك؟
شـهرزاد: مـا من ليلة لم احلم فـيهـا بتلك الاصـداء تدوى ملء اذنى... الاف الابواق والدفوف والصنوج تضج دفعة واحدة.... وأنا وسط ذلك

الدوى المخيف الباعث على الجنون ادور... وادور ببدلة بيضاء سابغة، رافعة يدى امامى لأقى نفسى من سقوط محتم، وشموع عديدة تضىء هنا وهناك، ورائحة خانقة هى مزيج من رائحة الدخان والبخور والحناء والدم تكاد تكتم على انفاسى!

دنيازاد (مفزعة) وما مبرر تعذيب نفسك بهذا الشكل؟ كونى مثلى يا أختاه: وما اكاد اضع رأسى على الوسادة حتى استغرق فى نوم عميق.

شهرزاد: وأنى يتأتى لى ذلك ودم حرام يسفح يومياً على مرمى حجر منى؟ (تصدح الموسيقى فى الخارج اسفل النافذة)

دنيازاد: (تثب نحو النافذة) هاهم جاؤوا بالعروس... تعالى انظرى

شهرزاد: (وقد جمعت فى موضعها ممسكة بكتاب) فلتنفقىء عيناى أن عاودت النظر من خلال هذه النافذة بعد اليوم!

دنيازاد: تعالى... تعالى... انها زفة لم يجر لها مثيل؛ فعشرات الغلمان يحملون الشموع، وعشرات الجوارى ينقرن الدفوف ويضربن المزاهر... وثمة اوان تتأرجح فوق الرؤوس متخمة بقطع حلوى تنثر مثل قطرات المطر... والآس والريحان... ما اكثر حاملى اغصان الآس والريحان!... يبدو أن العروس إبنة رجل عظيم الشأن..

شهرزاد: (على وضعيتها نفسها) عظمة ستتبدد صباح الغد؛ اذ سيأتى وحده. متابطاً الكفن، لا تشيعه غير نظرات العيون المتلصصة من خلف الكوى والنفواذ والمشربيات.

دنيازاد: لقد اشتبك ذيل بدلتها بالبوابة، فتزاحمت عشرات الايدى لتخليصه.

شهرزاد: وهناك يدان اثنتان فقط ستدرجانها صباح الغد فى الكفن.

دنيازاد: هاهم الحرس يطبقون عليها البوابة ليأخذ الناس فى التفرق.

شهرزاد: (تدس الكتاب فى احد الرفوف) بذلك ينتهى العرس... فما اسرعها من زفة!... ليتها تكون بطول ما يجرى صباح الغد: اذ كثير من الماء يسفح ممزوجاً بالكافور، وكفن يشق ويلف، ومعول يهبط ويصعد، وحفرة تفغر فاها، وتل من التراب يزاح جانباً ليجبل قسم منه لسد فتحة القبر الى الابد... يا ألهى... ما اسرع زفة العرس قياساً بتأبين الموت!

(يتوقف صدح الموسيقى).

دنيازاد: (تسدل ستارة النافذة) انتهت زفة اليوم، وعلينا الان بالعشاء... ساسبقك فى النزول يا شهرزاد.

شهرزاد: (بنبرة جارحة) تقولينها مزمجرة كالضوارى يا أختاه!

دنيازاد: (متبرمة) سأغرد بها كالبلابل يوم يستحيل فمى منقاراً.
شهرزاد: هناك مناقير معقوفة لا تقل بدورها عن اشداق الضوارى نهشاً وتمزيقاً!
دنيازاد: لا يسعنى مجاراتك فى الكلام، ذلك ما ينبغى لى الاعتراف به.
شهرزاد: أنت الملومة فى ذلك؛ ففى متناول يدك (تشير إلى رفوف الكتب) معين لا ينضب من الكلام.
دنيازاد: لا رغبة لى فى معين من هذا النوع؛ فما من كلمة فى وسعها أن تغنى عن جوع... بل ما من كلمة تستطيع أن تحرك ريشة عن موضعها.
شهرزاد: صدقت... ولكن فاتك أن الكلمات تغير ما فى النفوس، فكم علمتنا وشوقتنا واحزنتنا وافرحتنا واغضبتنا ومتعتنا الاف الكلمات المسطورة فى هذه الكتب!
دنيازاد: ليست النفوس كلها مهيأة لأن تتغير بهذا الشكل؛ خذى شهريار مثلاً: أيسع كلمات كتب الدنيا كلها أن تثنيه عن مواصلة نحر العذارى؟
شهرزاد: أيسع الكلمات أن تغير شهريار؟ (تتأمل اختها لحظات) حكمة!.... نطقت اللحظة يا دنيازاد بحكمة كنت على استعداد للتضحية بنصف عمرى لقاء الوقوع عليها!

(ظلام)

المشهد الرابع

(منظر المشهد الاول نفسه وقد اتخذ اعضاء هيئة المحكمة اماكنهم: القاضى والعضوان يجلسون على المنصة اليسرى، ويجلس كاتب الضبط وراء المنضدة وهو ماض فى تسجيل وقائع المحاكمة فى سجل، يقف المدعى العام وراء المنصة اليمنى المتهم واقف فى قفص الاتهام، وبالقرب منه المحامية).

صوت: (يصيح والمسرح مظلم) محكمة!... (تضاء مقدمة المسرح)

المدعى العام: سيدى القاضى، حفاظاً على سير هذه القضية بعيداً عن ايما تأثيرات جانبية يقترح الادعاء العام اخلاء القاعة، واجراء محاكمة سرية.

المحامية: طلب غريب تأخر عن موعده أكثر مما ينبغى، لقد مضت أيام، والمحاكمة دائبة على عقد جلساتها العلنية، فما الذى استجد لكى تعقد اليوم سرية؟

القاضى: ليبرر الادعاء العام سبب طلبه هذا.

المدعى العام: سيدى، لقد تبين لنا أن تشبث الدفاع بحضور هذا الحشد غير برىء؛ اذ انه يؤثر على سير القضية بشكل واضح.

المحامية: ولكن القضاء هو الذى سيصدر الحكم فيها لا غيره.

المدعى العام: سيدى القاضى، لقد طالت هذه المحاكمة وتشعبت اكثر مما ينبغى؛ فها هى الايام تتلاحق فى اثر بعضـها، ونحن نخوض غمار جدل عقيم كاد يخرج بنا عن الطرق الاصوليـة المتبعة فى قضايا من هذا النوع: فمـن طلب ارجاء، إلى طلب شـهود نفى إلى شـهود إثبـات، إلى طلب انتداب خبراء....

المحامية: (مـقاطعة) تلك امور كان لابد من اتبـاعها، ليس من اجل براءة المتهم حـسب بل حرصاً مـنا على عدم المساس بكتـاب «الف ليلة وليلة» وهذا امر بالغ الخطورة قد يفـوق فى اهميته تبرئة المـتهم مما نسب اليه من تهم (ينتفض المتهم مـحاولاً الاعتراض، لكن المحامية تسـكته بحركة من يدها، حادجة اياه فى الوقت نفـسه بنظرة محذرة) فاقـصى ما يناله المتهم من عقاب لا يتخطى تغريمه، او اتلاف النسخ التى طبعها من الكتاب، او اغلاق دار نشره. فى حين ما من كـتاب حوكم الا واضحت حرية الفكر معرضة للقمح والاضطهاد.

القاضى: على الادعاء العـام أن يوضح كيفية حصـول ذلك التأثير. نحن نريد براهين لا عموميات لا تستند إلى وقائع.

المدعى العـام: يتم بشكلـين: الاول يتمـثل بالثـقل المعـنوى الذى يشكله وجود هذا الحشد المنتقى. والثانى يتـجسد بالاصداء التى تنبثق عنه فى ما بعد؛ فمن يوم لآخر تطالعنا الصحف والمجلات بمقالات واعمدة صحفية ـ ليس كـتابها سـوى بعض هذا الحضـور ـ تتبنى وجـهة نظر الـدفاع فى تفنيد التهم، بل تسفيه المحاكمة جملة وتفصيلاً.

القاضى:" (يربت على الملف الموضوع امامـه) هل اضيفت تلك المقالات إلى الملف؟

المدعى العام: لا.... فبعـضها نشر اليوم فضلاً عـن نماذج كتبت من قبل، ارجو السماح لى بعرضها عليكم (يتقدم من منصة القاضى حاملاً صحفاً ومجـلات، يعرضـها على اعـضاء المحكمـة، وينهمـك معهم فـى حوار جانبى غير مسموع).

المتـهم: (هامسـاً بغضب) هكـذا اذن!.... تعتـرفين صـراحة أن الكتـاب يهمك اكثر منى!!

المحامـية: مـولاى.... أتغار من كـتاب لولاه لما ذقت نعمـة الخلود؟ لولا «الف ليلة وليلة» أكنت تخلد على مدى مئات الاعوام؟

المتهم: (هامـساً) كفاك تـذكيراً لى بذلك. انسيـت العذابات التى ينطوى

عليها خلودك ذاك؟

المحامية: (هامسة) ما من عذاب يقلل من شأن الخلود السرمدى، فحتى المحتضر، وهو يتجرع غصص الموت، يفضل البقاء معها ـ لو خير ـ على الفناء إلى الابد.

المتهم: (يهمس متهكماً) حكمة لم ينطق بها محتضر بالتأكيد!

المحامية: (هامسة) ايسعك أن تجحد تلك النعمة التى اسبغها كتاب «الف ليلة وليلة» عليك؟

المتهم: «هامساً» أن كان كتابك قد اسبغ على تلك النعمة فانه. فى الوقت نفسه، سلبنى نعمة الحرية؛ فمنذ انتهائك من ليلتك الواحدة بعد الالف وانا اسير هذا الكتاب لا استطيع تخطى حدوده: فمن راوية لقصصه، إلى صانع رقوق له، إلى مجرد ناسخ فى سوق الوراقين، حتى اذا ما حل عصر الطباعة تدرجت فى القيود عينها: فمن منضد حروف، إلى صاحب مطبعة، واخيراً ها انذا مدير دار نشر... ولكن (لحظات صمت) اقف مثل عتاة المجرمين فى قفص الاتهام!

المحامية: (هامسة وهى تجيل عليه نظرة خبيثة) مولاس... اتدرك أن القفص يناسب هيبتك تماماً؟ (تكتم ضحكتها بصعوبة) عزيز قوم ذل!

المتهم: (هامساً بخبث) اما انت فروب المحاماة لا يناسبك، بل افضلك من دونه!

المحامية:(هامسة) ولكنى به وحده ستنفذ بجلدك.

المتهم: (هامساً) اتعيدين معهم (يشير برأسه نحو هيأة المحكمة) لعبة الليالى القديمة نفسها؟

المحامية: (هامسة) لعبة الليالى استنفدت جدتها يا مولاى، وعلى الان أن اجرب لعبة النهارات لأريك - قبل أن اريهم هم - العذابات التى تجرعتها بسببك وانا اتهيأ لليالبك.

(ظلام)

الفصل الثانى

المشهد الاول

(منظر المشهد الثانى من الفصل الاول نفسه. الستارة مسدلة على النافذة. تجلس شهرزاد خلف الطاولة وهى تكتب، وبالقرب منها علبة دواة وشمعة مشتعلة).

الوزير: (يرتقى الدرجات الثلاث داخلاً وهو يخفى فى طيات ملابسه

شيئاً ما) أين هي رهينة كتبها الآبدية؟ اين هي حبيبتنا شهرزاد؟
شهرزاد: (تكتب اخر كلمة قبل أن تضع الريشة في علبة الدواة وتنهض)
لبيك يا أبت.. ها انذى طوع امرك.الوزير: مالك منفردة في غرفتك من دون خدينة روحك دنيازاد؟
شهرزاد: زهدت في صحبتي.
الوزير: كيف تزهد في صحبة من عودتها منذ طفولتها على الاتنام قبل الاستماع إلى احدى حكاياتها؟
شهرزاد: ذلك هو السبب؛ اذا لم يعد في وقتي متسع لمثل هذا الامر
الوزير: او يشغلك في دنياك شيء آخر غير الحكايات واحاديث السمر؟
شهرزاد: لا.. انما لم اعد كسابق عهدي في القراءة والمطالعة، فثمة مشروع انا في صدد انجازه.
الوزير: في هذه الحالة لم تعد بك حاجة إلى ماجئتك به من بشرى.
شهرزاد: اثمة ما تبشرني به يا ابتاه؟
الوزير: تكهني بما احمله لك!
شهرزاد:أعترف بعجزي عن التكهن والتخمين
الوزير: بشرى تنتظرنيها منذ مدة

شهرزاد: ازهد شهريار فى قتل النساء؟

الوزير:(مخذولا) ياله من امر ما قدمت إلى غرفتك الا سعياً منى لنسيانه!

شهرزاد: عذراً يا أبى لاثارتى شجونك

الوزير: لا عليك يا ابنتى فما ذكرتنى إلا بما لاسبيل إلى نسيانه

شهرزاد: الهذا الحد يؤرقك امر شهريار؟

الوزير: كيف لا وأنا ملزم كلى يوم باعداد عروس لمخدعه؟

شهرزاد: أنه لأمر مروع لا تتمناه نفس مرهفة كنفسك من دون شك

الوزير: لعل الموت هو ما أتمناه يا شهرزاد!

شهرزاد: فديتك بروحى يا ابتاه.

الوزير: لقد حكم الناس على بالنبذ، حتى اضحى مجرد ظهورى فى موضع من المدينة اشبه بالطاعون: ما اكاد امر بزقاق حتى تصطفق ابواب البيوت تباعاً فى وجهى، ولولا سيوف حرسى لاستحال على الحصول على عروس منذ مدة طويلة.

شهرزاد: وسيزداد الامر عليك عسراً يوماً بعد يوم.

الوزير: كل شىء يهون يا ابنتى خلا تلك العيون التى تحدق الى بنظراتها

الضارية من كل جانب، عيون متهمة مدينة جارحة تترصدنى بصمت وأنا انتقى عروس الشؤم، عيون تجردنى من كل قوتى وجبروتى وسط صليل اسلحة حرسى لتحيلنى إلى مجرد جلاد تتلخص مهمته بانتقاء الضحية قلب أن يدفع بها تحت السكين!

شهرزاد: (تحاول أن تسرى عنه) اوه... دعك من هذا الموضوع يا ابتاه، ولنعد إلى ما كان يشغلك لحظة دخولك الغرفة.

الوزير: وما الذى كان يشغلنى؟ لا اكاد اتذكر السبب الذى حدا بى إلى الصعود إلى هنا.

شهرزاد: لا... لا... لن اجاريك فى محاولتك التهرب مما جئت تبشرنى به... هيا... خبرنى بالامر.

الوزير: (مصطنعاً المرح وقد انتبه إلى ما اخفاه فى طيات ملابسه) لقد وصلت قافلة بغداد.

شهرزاد: محملة بخيراتها من دون شك.

الوزير: وبشىء اخر طالما ناشدتنى الحصول عليه.

شهوزاد: وما هو هذا الشىء؟

الوزير: أبهذه السرعة نسيت؟ خمنى ما هو؟

شهرزاد: لقد صارحتك بعجزى عن التكهن والتخمين.

الوزير: أنه هذا!! (يستل من طيات ملابسه كتاباً يلوح به)

شهرزاد: اجئتنى بكتاب جديد؟ هيا ارنى اياه... (تدور حول ابيها محاولة اختطاف الكتاب منه، فى حين يراوغها هو من دون أن يكف عن القهقهة باستمتاع)

الوزير: لا.. ابداً.. لنى امنحك اياه من دون استيفاء الثمن المعهود!

شهرزاد: ألا بد لـن من دفع. هذا الثمن كلما جئتنى بكتاب؟ (تمد له خدها ليطبع عليه قبلة) هاك... خذ... (تشرع فى تصفح الكتاب)

الوزير: اوتريدينه من دون ثمن؟

شهرزاد: (مازحة) يالك من أب شحيح لا يساوم على استيفاء حقه!

الوزير: قطعاً؛ اذ لاعمل لى سوى ارسال رجالى لترصد القوافل الداخلة إلى المدينة ليس من اجل مزاحمة التجار للحصول على اجود البضائع القادمة من مشارق الارض ومغاربها، بل سعياً وراء الحصول على... كتب الاسمار والحكايات!!

شهرزاد: (مواصلة تصفحها للكتاب) جزيل شكرى وامتنانى، فلولاك لما ازدانت هذه الرفوف كتب الهند والسند والصين وبلاد فارس والاندلس

ومصر والشام والعراق (تضع الكتاب على الطاولة).
الوزير: ما اسرع زهدك فيه!
شهرزاد: ساقرآه في ما بعد.
الوزير: يبدو حقا انك لم تعودى كسابق عهدك شغفاً بالقراءة والمطالعة؛ فما من مرة جئتك بكتاب الا رقصت طرباً، وشرعت في قراءته من فورك.
شهرزاد: لكنني ساقرأه بالتأكيد في الوقت المناسب.
الوزير: اكاد اكذب عيني!... ايعقل انك شهرزاد نفسها؟ انه كتاب قادم من بغداد، زاخر بحكايات هارون الرشيد والبرامكة والامين والمأمون وزرياب وأبي نواس...
شهرزاد: (تلتقط الكتاب من موضعه) حسبك. حسبك يا ابتاه، ستدفعني إلى قراءته من فوري.
الوزير: (يستل الكتاب منها، ويعيده إلى الطاولة) لا... لا تعمدى إلى اصطناع ما ليست بك رغبة فيه،.. انك على غير عهدى بك، خبريني يا ابنتي: ايشغلك امر غير القراءة؟
شهرزاد: (تربت على الاوراق المركونة فوق الطاولة) تشغلني هذه.

الوزير: وما هذه التى تشغلك؟
شهرزاد: تشغلنى الكتابة الان بعدما شغلتنى القراءة اعواماً.
الوزرى: ماذا؟ اشهرزاد تبقع اصابعهـا المرهفة بالمداد عوضاً عن تلطيخها بالحناء؟
شهرزاد: منذ ايام لاعمل لى سوى الكتابة.
الوزير: (يحاول قراءة ما كتبت) وما الذى تكتبين؟ ارينى!
شـهرزاد: (تسـارع فى ابعـاد الاوراق عن عـينى ابيـها) لا... ارجـوك يا أبتاه.. لم يحن بعد اوان الاطلاع على ما كتبت.
الوزير: ما هذا؟ ايوجد فى ما كتبت ما يحول بين ابيك والاطلاع عليه؟
شهرزاد: ابداً... فالذى كتبت مايزال فى طور التشكل والتكون.
الوزير: اذن.... دعينى اشبع فضولى.
شهرزاد:أأثرت فضولك إلى هذا الحد؟
الوزير: اعترف بأنك نجحت فى هذا الامر
شهـرزاد: معنى ذلك أنه لابد لى من أن اضع التشـويق نصب عينى على مدى ما اكتب.
الوزير: يكاد الفضول يصرعنى للاطلاع على ما كتبت.

شهرزاد: اذن انا على الطريق الصحيح. وما على ابى الان إلا كبح جماح فضوله ليجيبنى على سؤال بقى يشغلنى منذ شروعى فى كتابة اول سطورى.

الوزير: سلينى وامرى إلى الله

شهرزاد: أبى... أفى شهريار رغبة فى السمر والاستماع إلى الحكايات العجيبة والاخبار الغريبة؟

الوزير: وهل لهذا السؤال علاقة بما تكتبين؟

شهرزاد: ستعرف ذلك فى الوقت المناسب.

الوزير: كفاك شحذا لفضولى!

شهرزاد: ولكنك لم تجب عن سؤالى

الوزير: وهل وجد ملك بين الملوك لا يرغب فى السمر والاستماع إلى الحكايات؟

شهرزاد: لا تعمم يا ابتاه.. خبرنى عن مدى رغبة شهريار فى ذلك.

الوزير: أنه من اكثر الملوك شغفاً بالسمر... بل انه من اكثر الناس برماً بيوم يمر به من دون سمر... ولو لم يكن كذلك أكان يرسلنى فى تلك السفرة المشؤومة لاستدعاء اخيه شاه زمان؟ تصورى.. لم يرسلنى فى

تلك السفرة إلا بسبب شعوره بضيق فى صدره!!

شهـرزاد: (تصفق بيديـها بانتصـار) عظيم... معنى ذلك أننى فى سبيلى لوضع العلاج الناجع له!

الوزير: علاج من؟

شهرزاد: ومن يكون غير شهريار؟

الوزير: امريض هو لتعالجيه؟

شهـرزاد: وما ظنك بملك يتزوج كـل ليلة عذراء ليضـرب عنقها صـباح اليوم التالى؟

الوزير: اويكفى ذلك للحكم عليه بالمرض... بل الاصح الجنون؟

شهرزاد: ذلك امر مـؤكد؛ والا لم لم يعمد شاه زمان إلى الطريقـة نفسها وقد مر بالمحنة عينها؟ الم يضبط امرأته راقـدة فى فراش الزوجية، معانقة عبداً اسود، ولم يكن قد مر على مغادرته عاصمة ملكة سوى ساعات؟

الوزير:لعن الله تلك المصادفـة العمياء التى حدت بشـاه زمان إلى العودة إلى قصره لجلب هدية لشهريار كان قد نسيها هناك.. فلولاها لما اكتشف خيانة زوجته، ولما كانت المصائب تتعاقب تباعاً فى مابعد.

شهرزاد: ولكن شاه زمان لم يسلك سلوك اخـيه الاكبر، فمنذ عودته إلى

عاصمة ملكة لم يطرق سمعنا ما يدل على سلوكه ذلك السبيل.

الوزير: ذلك لأن جريمة زوجة شهريار انكى؛ فقد ضبطها زوجها تزنى مع عبدها بصحبة عشرين جارية يفجر بهم عشرون عبداً... واين؟ فى بستان قصرها؟

شهرزاد: ولكن الزنى يبقى زنى فى جميع الاحوال!

الوزير: خبرينى ياشهرزاد: الى م تريدين الوصول بحججك المتلاحقة هذه؟

شهرزاد: إلى اولاها، وهى أن شهريار مريض!

الوزير: ولكن لا تجعلى الفضول يقتلى؛ اذ ما علاقة مرضه ـ على افتراض صحة استنتاجك العجيب هذا ـ بكتابك الذى شرعت فى كتابته؟ اتعالجينه بالتعاويذ والاوفاق والرقى وبغيرها من فنون السحر؟

شهرزاد:لو اتيحت لى فرصة لعالجته بسحر واحد.. هو سحر الكلمة!

(ظلام)

المشهد الثانى

(منظر المشهد الثانى من الفصل الاول نفسه. الستارة مسدلة على النافذة . شهرزاد جالسة خلف الطاولة، تكتب فى ضوء شمعة. ودنيا زاد

مضطجعة على الاريكة)

شهرزاد:(تواصل الكتابة) كلمـات .. كلمات ... ها هى ورقة اخرى من كتـابى امـلأها بالكلمات .. خـبرينى يا دنيـا زاد ... ما سـر هذا السـحر الكامن فى الكلمات؟

دنيا ذاد : (بصوت حذر مثقل بالنعاس) وما أدرانى أنا؟

شهـرزاد:كأنى بالورقـة البيـضاء ارض بكر، ومـا الكلمات سـوى البذار الذى انثره فيه.

دنيـا زاد(متهـكمة) وكـيف يتأتى لك سـقى ارضك تلك من دون اتلاف الورقة؟

شهرزاد:(تضحك) وما عمل المداد اذن؟

دنيا زاد: واصلى نشـر بذارك .. وتركينى اكمل نومى؛ فمنذ الفـجر - منذ اشعـالك شمـعتك اللعـينة تلك - ادركت انه لا سـبيل لى الى اغـماض عينى مجدداً.

شهرزاد: لا ضـير من ابقائهمـا مفتوحـتى؛ فما خلقت العيـون الا لنبصر بها. (ينطلق صدح من الابواق من الخارج).

دنيا زاد:(تثب واقفة) صدقت يا أختاه، ما خلقت العيون الا لنبصر بها.

شهرزاد: (تتأمل اختها مصعوقة) يا للصفاقة! ... ونومك؟ الا تكملينه؟
دنيا زاد: عن اى نوم تتحدثين. وهناك منظر لا يفوت فى انتظارى؟
شهرزاد: بشسه من منظر مروع لا يستدعى كل هذا النشاط والهمة.
دنيا زاد: دعيك انت لنشاطك وهمتك فى ملء الاوراق بالكلمات.
شهرزاد:(تعيد الريشة الى علبة الدواة وتنهض غاضبة) لا توهمى نفسك بأن انشغالى بكتابتى ينسينى واجبى بازاء تلقينك الدروس الصحيحة!
دنيا زاد:(متهكمة) الا تلاحظين اننى كبرت بعض الشىء على مرحلة تلقين الدروس؟
شهرزاد:(تعترض سبيل دنيا زاد نحو النافذة) ثمة دروس ما تزال بك حاجة الى تلقينها: منها هذا المنظر البشع الذى آن لك ان تكفى عن مراقبته مثلما امتعنت انا عن ذلك منذ ايام.
دنيا زاد: انت حرة بنفسك ... ولكن ... من اوهمك بأننى سأحذو حذوك؟
شهرزاد: سأجبرك على طاعتى!
دنيا زاد: (تحاول ازاحتها عن طريقها) جربى ذلك .. اتحداك ان تمنعينى.
شهرزاد:(وقد ازداد صراعها عنفا) او تجرأين على ان تردى على؟... ما

خلقت اليد التى ترفع على شهرزاد!
دنيا زاد: (لاهثة) سأنشب اظافرى فى عنقك .. سأنهش لحمك!
شـهرزاد: لقـد اصـبحت لك مـخـالب وانياب! ..(تصـدمـان بالطاولة، فتنقلب علبـة الدواة ملطخة بالمداد احدى الاوراق، فتـهدءان على الفور) انظرى .. لقد اتلفت على ورقة امـضيت أياماً فى كتابتهـا (تحمل الورقة المطلخة . مبعدة اياها عن الاوراق الاخرى)
دنيا زاد: (خجلى) الا يمكنك اعادة كتابتها؟
شهـرزاد: يمكن بطبيـعة الحال .. ولكن .. خـبرينى يا أخـتاه: اهذا المنظر الرهيب الجارى فى الاسفل يقتضى كل هذا الاندفاع والنزق الصبيانى؟
دنيا زاد: انه منظر مثير لا يفوت.
شهـرزاد: غير ان الاب المنكـود الواقف قرب البوابة مـتابطاً كـفن ابنته لا يرى فى ذلك المنظر ايما إثارة.
دنيا زاد: وما ذنبى انا فى ما جرى لابنته؟
شهرزاد:ذنبك ان مأساته تـتحول لديك الى ضرب من تسلية .. أو تمسخ العواطف وتشـوه المشاعر الانسانيـة اكثر من ذلك؟ ثم صارحـينى ... ما الذى يثيرك فى منظر عروس ذبيحة؟

دنيا زاد: انه الفضول الذى لا أملك له رداً.
شهرزاد: الم تشبعى فضولك هنا على مدى ثلاث سنوات كاملة؟
دنيا زاد: لقد تحول الى نوع من العادة.
شهرزاد:والارادة هى الكفيلة بتغيير تلك العادة.
دنيا زاد: (خجلى) وهناك .. هناك امر آخر...
شهرزاد: ما هو ذلك الأمر؟
دنيا زاد: انه ... انه ... كيف لى ان اعبر؟ انه ضرب من البهجة لكونى انا لست الضحية!
شهرزاد: اتضمنين انك ستظلين بمنجاة من ذلك الى الابد؟
دنيا زاد: (متنفضة) ماذا؟ انا دنيا زاد ابنة الوزير لا اضمن بقائى بمنجاة من ذلك المصير.
شهرزاد: ما دامت عجلة النحر دائبة على الدوران فما من عذراء بمنجاة من ذلك المصير.
دنيا زاد: ياللهول !.. اوتظنين حقا ان العذارى من دون استثناء سيلاقين المصير نفسه؟
شهرزاد: لولا يقينى ذاك اكنت اكرس وجودى كله سعيا لوضع حد لما

يجرى؟

دنيا زاد: (متهكمة) أبا لكلمات وحدها ستضعين ذلك الحد؟

شهرزاد:دعينا من هذا الامر؛ فقد اشبعناه جدلا اكثر من مرة.

دنيا زاد: ولكننى ما ازال غير مقتنعة بالامر، ما ازال موقنة من انه ليس فى وسع الكلمة تحريك ريشة من موضعها.

شهرزاد: ما دامت ريشتك تلك تحرك باليد، فما جدوى محاولة تحركيها بالكلمة؟ فاليد بدورها عاجزة عن جلب السرور والطرب الى النفس مهما حركناها واجهدناها نقيض الكلمة المثيرة فى قصة او بيت شعر (بعد تفكير) ثم اسمعى .. لن اعول على الكلمة وحدها فى هذا الامر؛ فقد وصلت فى كتابى الى المرحلة التى سافاجئك بعدها بأمر لم يخطر لك على بال!

دنيا زاد: أعترف باننى لا يدهشنى اقدامك على مالا يخطر فى بال؛ فسبق لك ان ورطتنى فى تلك الجولات التى قمنا بها متنكرتين فى ملابس الرجال.

شهرزاد: (بمرح) اولم تمتعك جولاتنا تلك؟

دنيا زاد: متعتنى من دون شك لولا كدمة فى الجبين واثر جرح فى ساعدى بقى بعد اندماله!

شهرزاد: (ضاحكة) ما ذنبى انا ان كان منظرك فى ملابس الرجال يثير

لدى الفتيان روح التحدى؟

دنيـا زاد: (سـاخر ة) ذلك افـضل من منظرك انـت الذى كان يثـيـر لدى الشيوخ المتهـتكين غرائز شاذة لم تسلمى منها بنفسك الا بكشف حـقيقة كونك انثى!!

شهرزاد: (مغالبة ضحكها) انها لمفـارقة لا يصدقها العقل ان تتخذ الانثى من جنسها سلاحا تنقذ به نفسها!

دنيا زاد: خبرينى يا أختاه: اعازمة انت على الاقدام هذه المرة على مغامرة من دونى؟

شهرزاد:ستشاركيننى فيها بالتأكيد.

دنيا زاد: ولكنك نسيت ان تخـبرينى بذلك الامر الذى لن يخطر لى على بال.

شـهرزاد: اسـمـعى يا دنيـا زاد: ألم يسبق ان اطـلعت على كتـب معـينة تختص بالطبخ مثلا او الغناء او الرقص او الريازة او النسج؟

دنيا زاد: كثـيرا ما اطلعت على كتب من هذا النوع .. بل لا اكـتمك انها اقرب الكتب الى نفسى.

شهـرزاد: حسن ... وما قيـمة كتب من هذا النوع من دون تطبـيق ما يرد

فيها؟

دنيا زاد: لم افهم قصدك.

شهرزاد: اسمعي: ما الذي يسليك ان تقرأي كتابا في الطبخ يحدد لك المقادير التي تكفل لك اعداد طبخة شهية؟

دنيا زاد: لا شيء سوى ان يتحلب فمي لعاباً.

شهرزاد:معنى ذلك ان كتابا على تلك الشاكلة سيكون من دون فائدة الا عند تطبيق ما يرد فيه.

دنيا زاد: ذلك امر مؤكد.

شهرزاد: تلك هي خطة كتابي المنتظر: وصلت فيه الى موضع لابد لي معه من الشروع بمغامرة كبرى قبل مواصلة الكتابة فيه.

دنيا زاد: ولم؟ اهو كتاب في الطبخ؟

شهرزاد: كلا .. بل هو كتاب في الحياة والموت!!

دنيا زاد: (صارخة) ماذا؟ كتاب في الحياة والموت؟!

شهرزاد: اجل .. كتاب في الحياة والموت؛ فقد وصلت فيه الى المرحلة التي لابد لي معها من المجازفة بحياتي نفسها لأبرهن على قدرتي على انجازه!

(ظلام)

المشهد الثالث

(منظر المشهد الرابع من الفصل الأول نفسه)

القاضى: (يضم الصحف والمجلات الى الملف، ويأذن للمدعى العام بالعودة الى منصته) هل سبق للدفاع الاطلاع على هذه المقالات والاعمدة الصحفية التى عرضها الادعاء علينا؟

المحامية: اجل ... لكن القضاء - كما سبق لنا ان ذكرنا - يبقى هو الذى سيصدر الحكم لا غيره.

المدعى العام: سيدى، ما دامت تلك هى وجهة نظر الدفاع، ما مبرر تجنيد الصحافة لاثارة كل هذا الضجيج؟

المحامية: عجباً! .. ما دخل الدفاع فى انطباعات يبدى بها كتابها حرصهم على كتاب حظى يحبهم؟

المدعى العام:الهدف واضح وهو السعى للتأثير على سير محاكمة كان فى الوسع اصدار الحكم فيها فى يومها الاول.

المحامية :(باستهجان) تعنى الحكم بالادانة من دون شك!

المدعى العام: لا جريرة لأحد فى ذلك، فحيثيات القضية تنتهى تلقائياً بهذه النتيجة: فهذه المحكمة لم تنعقد الا بعد تعاقب سلسلة اجراءات

قانونية طويلة ومعقدة تنتهى بذلك الحكم.

المحامية: وبذلك يكون الدفاع ملزماً باتباع الاسلوب الذى يكفل له تجنب حكم من هذا النوع.

المدعى العام: سيدتى، أنك تراهنين على لعبة الوقت، تطيلين وتسهبين وتنمقين الكلام، فى محاولة مدروسة للالتفاف على سير قضية منحتها الجهات المعنية الوقت اللازم لتمضى بحسب الطرق الاصولية المتبعة؛ فمنذ ورود معلومات تفيد بقيام المتهم بطبع نسخ من الكتاب خارجة على الاداب العامة، عمدت تلك الجهات إلى الحصول على نسخة منه للتثبت من صحة تلك المعلومات، وبنتيجة الفحص تأكد لها الأمر، فوقع المتهم تحت طائلة القانون....

المحامية: (مقاطعة) لا يوجد مبرر لتكرار هذه الامور المعروفة.

المدعى العام: سيدى القاضى، الهدف من ذلك هو وضع هيأه المحكمة الموقرة بازاء الخطوط العامة للقضية.

القاضى: حسن... لاضير من توضيح بعض الامور.

المدعى العام: سيدى، لقد تم تفتيش المطبعة العائدة للمتهم، وضبطت النسخ المشبوهة، وكذلك الاكلشيهات الخاصة بالطبع، وقد ثبت المحقق

اطلاعه علـى الكتاب، مؤكـداً، فى تقريره ثبـوت التهم، وبذلك احيلت القضية برمتها إلى محكمتكم الموقرة بانتظار صدور حكمها العادل الذى لن يتخطى الادانة بحال من الاحوال.

المحاميـة: (متهكمة) مادامـت القضية ماضـية إلى نهايتها بهـذا التـسلسل المثير، ما مبرر حرمان هذا الحشد من الاطلاع على نتيجتها الدرامية؟

المدعى العـام: (منفجـراً) سيـدى القـاضى... نحن لسنا فى مـسـرح!... يرجى تنبيـه الدفـاع إلى هذا الامـر... نطالب الدفـاع بالايـنسى اننا فى محكمة لا فى مسرح، وأن ما نتداوله قضية قضائية لا مسرحية نهدف من ورائها التفريج عن الجمهور!

المحامية: سـيدى القاضى، لايخفى عليكم أن محاكمـة كتاب مثل «الف ليلة وليلة» ليست بالقـضية البسيطة كل تـؤخذ باستهانة وخـفة؛ فهى فى اعتقادنا محاكمة لماضينا وطفولتنا ـ اذ يكاد هذا الكتاب الساحر أن يكون اول كتـاب قرأناه جمـيعاً من دون اسـتثنناء ـ كذلـك هى محاكـمة لملكة الخيال لدى البشرية جمعاء ـ فما اكثر المجالات الابداعية التى اثراها هذا الكتاب الخلاق! ـ لذا يغدو من البديـهى أن يحرص الدفاع على حضـور هؤلاء المثقـفين سير هذه المحـاكمة؛ لأنهم، شـاؤوا أم أبوا، يصطفون مع

المتهم وبالتالى مع «الف ليلة وليلة» خلف قضبان قفص الاتهام.

القاضى: من الجلى أنه لا يوجد مبرر مقنع لاخلاء القاعة واجراء المحاكمة سرية.

المدعى العام: (مستميتاً) بل يوجد.... سيدى ثمة سبب اخر يدعو لاتخاذ هذا الاجراء هو الحرص على الاداب والاخلاق العامة.

القاضى: مزيداً من التوضيح

المدعى العام: سيدى، محاكمة هذا الكتاب تنطوى على جوانب تمس الاخلاق، فقد ثبت المحقق احتواءه على قصص والفاظ خادشة للحياء وخارجة على الاداب العامة ومنافية للاخلاق، فضلا عن حكايات تتطرق إلى خيانة النساء لازواجهن مما تدفع الاجيال الصاعدة الى الانحراف والفساد.

المحامية: استميح المحكمة الموقرة عذراً لو اتهمت الادعاء العام بقصور النظر.

المدعى العام: قصور النظر؟!

المحامية: اجل؛ فقد ركزتم فى استنتاجكم ذاك على جانب واحد، غاضين الطرف عن جوانب اخرى.

القاضى: نطالب الدفاع هذه المرة بعدم اللجوء إلى ذكر عبارات مبهمة.

المحامية: سيدى، ايسع الادعاء العام أن ينكر أن قصص «الف ليلة وليلة» ليست وقفاً على تلك الأمور؟

المدعى العام: كلا بالتأكيد؛ فهذا الكتاب يحتوى على مئات القصص التى تتطرق إلى جوانب مختلفة.

المحامية: حسن... الا يحتوى هذا الكتاب اذن على قصص والفاظ تحض على التمسك بالاخلاق الحميدة، فضلاً عن حكايات تتطرق لخيانة الازواج لزوجاتهم؟

المدعى العام: توجد بطبيعة الحال.

المحامية: فى هذه الحال ما مبرر التركيز على تلك القصص والالفاظ فقط؟

المدعى العام: توجد بطبيعة الحال.

المحامية: فى هذه الحال ما مبرر التركيز على تلك القصص والالفاظ فقط؟

المدعى العام: ذلك لأن تلك الامور تعد خروجاً على قيم الحياء، وهدماً لقواعد الاخلاق، واغراء بالعهر من اجل ترويج الكتاب وتحقيق اكبر

عائد من الارباح الشخصية.

المتهـم: (صارخاً) سـحقـاً!!.... أما كـان الاجدر اجـراء هذه المحاكـمة سرية؟

المحامـية: (مـذعورة) سـيدى القـاضى، استـميحـكم عذراً (هامـسة إلى المتهم) ما هذا؟ ستضيع الامر كله بصراخك!

المتهم: (هامساً وهو يرتجف غضباً) اوتريدينني أن اصمت وهم يقتحمون هذه المرة مـخدعنا من دون حـياء؛ فيتحـدثون علناً عن حكايات خـاصة كنت تسمعينني اياها على انفراد؟

المحامية: (هامسة) هون عليك يـا مولاى، على أى مخدع تبدى حرصك وثمـة ملايين القـراء تلصصـوا عليه منذ طبـعت «الف ليلة وليلة» مـئات الطبعات وبمختلف لغات الارض؟ (رافعـة صوتها) لقد فات الادعاء أنه من الظلم والاجحـاف فصل تلك القـصص والالفاظ عن السيـاق العام، بل يتعـين النظر اليهـا فى ضوء مـا ورد فى الكتاب ككيـان متكامل غـير قابل للتجزئة.

المدعى العام: ماذنبنا لو كانت تلك الامور وحدها خارجة على القانون؟

المحامـية: وهل كـان هدف شهرزاد من تـسطير تلك القـصص والالفاظ

الخروج على القانون؟
المدعى العام: وما ادراني انا؟ فلم يسبق لي أن التقيتها الا على صفحات ذلك الكتاب!
المحامية: ولقاؤك هذا بها الم يبرن لك على استحالة ان يكون هدفها غيرا خلاقي؟
المدعى العام: (ضجراً) تساؤل مبهم يدخل ضمن ذلك الجدل العقيم الذي طفحت به اسماعنا طويلاً!
المحامية: وأين هو الابهام في حقيقة عذراء هي سليلة وزير، تجازف بحياتها من اجل انقاذ بنات جنسها من القتل بوساطة رواية القصص والاسمار؟
المدعى العام: لكن تلك الألفاظ..
المحامية: (مقاطعة) ثم كيف يتأتى لأنثى على جانب كبير من الثقافة والوعي الخروج على القيم والأخلاق؟
المدعى العام: عجباً!.... وما ادراك بكونها مثقفة؟
المحامية: بسبب روايتها كل تلك القصص الساحرة والاسمار العجيبة، فضلاً عما ورد عنها بالحرف الواحد وفي مقدمة الكتاب نفسه: «قرأت

الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الامم الماضيين، وقيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء».

المدعى العام: لعلها، وبرغم ثقافتها المزعومة تلك، حادت احياناً عن الطريق القويم.

المحامية: ابداً... انها لم تحد قيد انملة؛ انما اقدمت على ما اقدمت عليه بروية وحذر وبعد تفكير طويل؛ فقد خططت لثورة سلمية لا نظير لها فى التاريخ!

المدعى العام: ثورة دفعة واحدة؟!

المتهم: (ثائراً وهو يضرب الحاجز العلوى للقفص بقبضته) سحقاً لتلك الثورة السلمية سحقاً! (ترتفع اصوات دهشة من هيأة المحكمة تتخللها ضحكات موارية)

القاضى: عجباً!... انسيت انها محاميتك، وهى بكلامها ذاك تحاول الدفاع عنك؟

المتهم: (بغموض) مشكلتى اننى أتذكر ذلك جيدا!

القاضى: ماسر نقمتك اذن؟

المتـهم: (يضـحك بمرارة) لعـله ضـرب من مـفـارقة ان تـنطلق ثورة من مخدع!

المحامية: (متحدية) أجل.:. كانت ثورة انطلقت من مخدع احاله شهريار إلى ساحة قتال، تتساقط العـذارى على سريره تباعاً ذبيحات، حتى ضج الناس بالشكوى، ثورة بدأت بذورها بالاختمار فى ذهن شهرزاد مع اول رأس انثى اطاح به سيف الجلاد، ثورة كان سلاحهـا فيها الكلمة، حولت بها شهريار من طاغية مستبد إلى أب وحاكم عادل.

(ظلام)

المشهد الرابع

(منظر المشـهد الثـانى من الفـصل الاول نفـسه، الأم وشـهرزاد ودنيـازاد جالسات على الكراسى)

الوزير: (يرتقى الدرجـات الثـلاث داخـلاً) ما بالكن مـجـتمـعـات هنا، تاركات الطبقة السـلفى لحشود الخدم والعبيد؟

(تنهض الثلاث فى استقباله)

الأم: أنهم يهيئون المائدة يا مولاى فى انتظار مقدمك لتناول الغداء.

الوزير: (بمرارة) اوما تزال هناك موائد تهيأ وتعد انتظاراً لمقدمى؟

الام: ولمن تعد الموائد اذن إن لم تعد لأخطر الوزراء شأناً؟
الوزير: (يتهالك جالساً على احد الكراسى) اخطر الوزراء شأناً!!...
الوزارة... يالها من مهنة شاقة!!
الام: احدث ما يعكر صفو ذهنك يا مولاى؟
الوزير: بل حدث ما يعكر صفو حياتى!
الام: صفو حياتك؟ ما هذا الكلام الغريب؟
دنيازاد: ما الذى حدث ياأبتاه؟ لقد ملأتنى قلقاً وجزعاً!
الوزير: وثمة الكثير منهما فى انتظاركن.
شهرزاد: ابى... ماعودتنى على أن اراك وقد احنيت رأسك بازاء ما تحمله من هموم.
الوزير: لعلها الانحناءة الاخيرة التى تسبق ضربة سيف الجلاد!
الأم: شلت اليد التى ترفع السيف عليك.
دنيازاد: سلم رأسك يا أبتاه، فدونه تتساقط الاف الايدى والرؤوس.
شهرزاد: رأسك أعلى مقاماً من أن تنال منه السيوف.
الوزير: (يتنقل بنظراته التائهة بين وجوههن) أكل هذا الحب لى يقبع فى عقر دارى وأنا على موعد يومى مع الكراهية ترصدنى من كل زاوية

وشارع؟

دنيازاد: اويداخلك الشك في ذلك؟

الأم: هل يوجد من نمحضه حبنا خالصاً غيرك؟

شهرزاد: تقصر كلمة الحب عن الافصاح عن جزء مما نكنه لك من مشاعر.

الوزير: دعنني اذن اشبع عيني من وجوهكن الحبيبة وأنا اعيش اخر ساعات عمري!

الام: (تدق صدرها) ماذا؟ اخر ساعات عمرك؟

دنيازاد: (تدور حول ابيها متلمسة اياه من هنا وهناك) قل كلاماً اخر... لا ترعبنا بهذا الشكل يا أبتاه!

شهرزاد: ما الامر يا أبتاه؟

الوزير: المزيد... المزيد من الحب... اغرقتني بحبكن؛ فوالله ما احببت احداً قط حبي لكن؛ فأنت يا امرأتي، يا سليلة الشرف والنعمة، بقيت لدي على مدى اعوام واعوام ريحانة بيتي التي تفوح باريجها العذب ملء روحي... وأنت يا ولية عهدي الحبيبة شهرزاد، زهدتني بالذكور، فبحصافة عقلك رأيت فخري ومجدي.. أما أنت يا صغيرتي دنيازاد فما

اشـد اسفـي على فراقـك (تنشج الأم ودنيـازاد باكيـتـين، فى حـين تظل شهرزدا تتامله بنظرات ثابتة) اذ انك ما تزالين غضة فى مقتبل العمر...

شهرزاد: (مقاطعة) ابى...

الوزير: (مواصلاً كـلامه) شـدما احبيـتكن، وتمنيت ان ارعاكن اطول مدة ممكنة لولا أن المقدر قد وقع.

شهرزاد: ابى... افصح عن الامر، ولا تمعن فى تعذيبنا؛ اذ كيف يعقل أن تتخاذل بهـذا الشكل ـ واعذرنى لصراحتى ـ وأنت وزير شـهريار وكاتم اسراره؟

الوزير: هنا مقتلى ايتها الحبيبة، ذلك يحدث لكونى كذلك.

شهرزاد: لا افقه مغزى كلامك.

الوزير: كيف يغـيب ذلك عن ذكائك وقد انتـصف النهار، ولم يبق على قدوم الليل سوى ساعات؟

شهرزاد: (بانتباهة مفاجئة) أو لم تهىء بعد عروساً لمخدع شريار الليلة؟

الوزير: تلك هى المعضلة يا ابنتى

دنيازاد: افشلت فى الحصول على عذراء؟ ياللهول!

الأم؟: ايعقل أن المدينة خلت من العذارى؟!

الوزير: من قال لك انهـا خلت منهن؟ انما الناس ما عادوا يطيـقون المزيد من سفك الدماء، فـاخذوا بدورهم يستبـقون مقدمي إلى بيـوتهم باخفاء بناتهم.

الأم: مر حرسك بالبحث والتنقيب عساهم أن يعثروا على واحدة.

الوزير: ما من بيت لم يقتحمه حرسي اليوم في طول المدينة وعرضها. ما من غرفـة لم تنتهك، ما من سـرداب لـم ينبش وينقب. ولكن... من دون جدوى.

الأم: مـرهم ليـعيـدوا البـحث كرة اخـرى. لابد من وجـود بيت فـاتهم تفتيشه، بل أنا عل ثقة من وجود عشرات البيوت العامرة بالعذارى.

شهـرزاد: (منفجر) أهن احذية تصنع بالجـملة ليطلبن من الاسكافي؟ أم هن سنابل قمـح ليطالب الزراع بنثر بذورهن في الارض انتظاراً لحـصاد وفير؟ انهن بشر مثلنا تماماً، يمضين تسعة اشهر في بطون امهاتهن قبل أن يستقبلن الحياة صارخات.

دنيـازاد: ولابد لهن من مـرور سنوات وسنوات ليكبـرن قبل أن يقـدمن تباعاً على سرير شهريار.

شـهرزاد: ثم مـا جدوى البـحث والتنقـيب للعثـور على واحدة اليـوم؟

وغداً؟ وبعد؟ ايستمز الحرس فى البحث والتنقيب الى الابد؟
الوزير·(ينهض ويشرع فى ذرع الارض) أنهـا ثلاث سنوات تمر... مئات الليـالى تتـعاقب، وبـعددها اتنقل أنـا من بيت إلى بيت، متـقـياً أجـمل العذارى والحسان لأحملهن تباعاً إلى مخدع شهريار.
شهـرزاد: اكثـر من الف وتسعـين عروساً دخـلن البوابة، واكثـر من الف وتسعين بدلة خاطتـها ايدى الخياطات، فضلاً عن اكـثر من الف وتسعين كفناً دسها الدفانون فى تراب امقبرة!
الوزير: (يقف قـرب النافذة مـزيحاً عنهـا الستـارة) الناس مقـبلون على تمرد.. لم يعـد فى وسـعـهم تحـمنل المزيـد.. انظرن إلى الشـارع.. لا أثر لمخلوق، فمن استاطع تهريب ابنته هربها، ومن استطاع اخفاءها عمد الى ذلك... بل لجأ بعـض الاباء إلى تشويه بناتهم لعلمـهم بحرص شـهريار على اكتمال جمال ضحيته، فبتروا منهن اصبعاً، أو فقأوا عيناً، أو جدعوا انفاً... واخريات تنكرن فى ملابس الرجال ليفزن بحياتهن!
شهرزاد: مدينة عقيم تكاد تخلو من العذارى!
دنيازاد: مدينة قـاتلة، تبور فيها سـوق المرايا والأمشاط والعطور وأدوات الزينة لتروج فيها سوق السيوف والرماح والخناجر وادوات القتل!

شهرزاد: مدينة جرداء، يوشك نبع الحياة فيها على النضوب.
الأم: (صارخة) فلتأت النار والشرار على هذه المدينة الملعونة؛ فقد استحقت العقاب.. ولكن زوجي (تاخذ في البكاء) ما ذنبه هو ليضرب عنقه جزاء ظلم غيره؟
الوزير: ذلك لأنه لم يبق رأس يرضى بأن يغدو طعاماً لسيف الجلاد غداً.
شهرزاد: (بغموض) بل ثمة رأس حل عليه الدور!
الوزير: رأس من هذا؟ اذ ما من سبيل للعثور على عذراء بعد اليوم.
شهرزاد: أنه رأس يقدم نفسه طوعاً لسيف الجلاد.
الوزير: واين هو هذا الرأس؟ فما من عذراء من العامة أو الخاصة ترضي بذلك.
شهرزاد: انه اهم من رؤوس بنات العامة والخاصة بكثير.
الوزير: وكذلك التجار؛ فقد انتقيت منهم اجمل العذارى.
شهرزاد: انه أعلى مقاماً من رؤوس بنات التجار.
الوزير: وكبار القواد بدورهم... لم تسلم عذاراهم من المصير نفسه.
شهرزاد: أنه اعلى مركزاً من بنات القواد ايضاً!
الوزرى: اعلى مركزاً من بنات القواد ايضاً؟ (يتلفت حوله بحيرة) في

هذه الحالة لم يبق الا... (يثبت عينيه على وجه شهرزاد) لا... كفى عن التفكير فى ذلك!

شهرزاد: تماماً... ذلك هو الرأس الذى يجب أن يقدم لمخدع شهريار الليلة.

الأم: (تبادل دنيازاد نظرة حائرة) عن أى رأس يتحدثان؟

دنيازاد: رأس أعلى مركزاً من بنات كبار القواد!

الأك: (منفجرة) ما هذه الاحاجى والالغاز؟ افصحوا عن مغزى كلامكم الغريب هذا!

الوزير: الم تدركى بعد ما الذى تعنيه بهذا الرأس العنيد!

الام: ذلك ما اسألكم عنه.

الوزير: أأخبرها يا شهرزاد؟

شهرزاد: سيان اخبرتها أم لم تخبرها، فقد تم اتخاذ قرار لا رجعة لى عنه!

دنيازاد: (تشنج باكية وقد ادركت مغزى الكلام) لا يا اختاه... اصرفى فكرك عن هذا الامر... ارجوك ايتها الحبيبة.

الأم: (ثائرة) ما هذا؟ لم تدعونى وسطكم كالبهيمة العجماء، لا افقه

مغزى ما يجرى من حولى؟

شهرزاد: (تعانق امها) حاشاك يا أماه، فأنت سيدة النساء.

الأم: اخبرينى بالأمر اذن.

شهرزاد: اتتذكرين يا أماه يوم سألتك اليس مآل البشر كلهم إلى الموت فى نهاية المطاف؟

الأم: اذكر؛ فلم يمض على ذلك الكلام سوى ايام.

شهرزاد: اوتذكرين انك اجبتنى بدورك أن تلك هى مشيئة الله التى لا راد لها؟

الأم: اذكر ايضاً.

شهرزاد: لقد آن لمشيئة الله أن تتحقق.. بى أنا!

الأم: (صارخة وهى تدق صدرها) بك أنت؟ حاشا لله أن يمضى فى مشيته على هذا المنوال... أنها مشيئتك انت العنيدة التى لا تحيد عما صممت عليه.

الوزير: (بليونة) اسمعت يا أبنتى؟ اصرفى فكرك عن هذا الامر!

دنيازاد: ثوبى إلى رشك يا آختاه.

شهرزاد: (بملامح متحجرة) محال، لقد احدث شهريار فى حياتنا فجوة

لن يملأها الا رأسي؛ فأما أن ينفذ منها ليسقط في اثر الرؤوس التي سبقته، أو تضيق به، فتحقن دماء العذارى.

الوزير: تريثي يا أبنتي... ليس الامر هذه المرة شبيهاً بنزوة من نزواتك التي لولاي لما تماديت بها - مثل شأنك وتجميع مئات الكتب - احجمي عن هذا الامر، والا سيجري لك ما جرى للزوجة في حكاية «الحمار والثور وصاحب الزرع».

شهرزاد: اتعني حكاية ذلك الرجل الذي كان يفهم لغة الحيوانات؟

الوزير: هي نفسها.

شهرزاد: شكراً لأنك ذكرتني بها، وسأضمها إلى كتابي في الموضع الذي يناسبها منه.

الوزير: (منفجراً) عن أي موضع مناسب تتحدثين يا شقية، ورأسك سينفصل عن جسدك صباح الغد؟ ثقي بأنك لن تتجاوزي بكتابك المنتظر تلك الصفحات المعدودة التي كتبتها منه.

شهرزاد: حينها اكون غير جديرة باكماله.

الوزير: (ينتقل بنظرات استغاثة بين الام ودنيازاد) هيا.. تكلما.. اقنعاها بالعدول عن قرارها قبل فوات الاوان.

(تدور الام ودنيازاد حول شهرزاد فى اثناء حوارهما معها، وكأنهما تحاولان اقناعها ليس بالكلام حسب، بل بحركاتهما ايضاً).

دنيازاد: ما جدوى التضحية بنفسك يا اختاه من دون نتيجة؟

الأم: سيتواصل نحر النساء من بعدك، وستدأب الأمهات على لبس السواد.

دنيازاد: أنه مجنون... كيف يتأتى لك التصدى لمجنون؟

الأم: لست حرة بنفسك ليحق لك المجازفة بحياتك، فانت لم تولدى وتكبرى من تلقاء نفسك، بل هناك من تعب وعانى وشقى قبل ان تصبحى ما انت عليه الان.

دنيا زاد: ستندمين ساعة لا ينفعك الندم، وسيذهب دمك هدراً.

الأم: أو تعلمين كم تعانى الأم وتتعذب قبل ان تنسلخ قطعة اللحم الصارخة من رحمها؟ إنها امور يعجز اللسان عن وصفها.. ما عليك ألا ان تصبحى اما لتدركى انه لا يوجد ما هو اكثر شذوذا من التفريط بالحياة.

شهر زاد: (تعانقهما بيديها الاثنتين، ما نعة اياهما من مواصلة الدوران حولها) ليست بكما حاجة للبرهنة على شده حرصكما على، فأنا اذرى

الناس بذلك.
دنيا زاد: (بأمل) إذن بادلينا حرصا بحرص.
شهر زاد: (بتصميم) ذلك هو ما لاسبيل لكما اليه. لن اعدل عن قرارى ابدا.. لابد لى من ذلك.
الأم: (بيأس) فى هذه الحالة لا أملك إلا ان اردد تلك العبارة التى لا يخجل قائلها: «لا حول ولا قوة إلا بالله».
الوزير: (بشراسة) تعسا.. هى الملومة أولا واخيرا.. سامضى الى الملك لاخبره بالأمر .. جهزاها انتما الاثنتان قبل حلول الظلام.. اعدا لها بدلة الزفاف ملفوفة بالكفن.. (يخرج)

المشهد الخامس

(يسمع نقر على الدفوف والمزاهر واصوات موسيقى خافتة تظل تتردد حتى نهاية المشهد. يضاء المسرح. منظر المشهد الثانى من الفصل الاول نفسه. شموع كثيرة مضاءة هنا وهناك. الأم ودنيازاد منهكتان فى الباس شهرزاد بدلة زفافها البيضاء امام مرآة الدولاب)
دنيازاد: هيا يا أماه.. خفى يدك قليلاً... انهم فى عجلة من امرهم؛ يستحثوننا بموسيقاهم المقيتة تلك على الاسراع فى تجهيز العروس...

اسحبى البدلة إلى الاسفل من ذلك الجانب... وعدلى تلك الطيات.

الأم: (وهى منهمكة فى تعديل بدلة شهرزدا من هنا وهناك) لهفى عليك يا يمامتى... اكل هذا الحسن والجمال لليلة واحدة لن تكحلى بضياء صباحها عينيك؟

شهرزدا: كفى عن نواحك يا أماه... ارجوك اهدأى... لا يعقل أن تسفحى دموعك على مدى ساعات وساعات... ارحمى نفسك قليلاً.

الأم: سأظل ابكيك يا شهرزاد... سأبقى انوح عليك مادامت لى عينان تنزفان الدموع... لن يسعك منعى عن ذلك ابداً.

شهرزاد: وفرى دموعك لما بعد موتى؛ فأنا ما ازال حية ارزق... لابل أنا عروس، كما ترين، فحرى بك اظهار الفرح والسرور اكراماً لى.

الأم: اخدعى نفسك بهذا الكلام... فما انت فى حقيقة الأمر إلا ضحية تزين وتجمل وتعطر استعداداً للنحر

دنيازاد: (باستياء) امى.. ناولينى ذلك المشط.. انك فى واقع الامر لا تعملين الا على اعاقتى فى عملى عوضاً عن مساعدتى.

الأم: (تلتقط مشطاً خشبياً من فوق احد الكراسى وتناوله دنيازاد) ماذنبى فى ذلك؟ فيداى الراجفتان لا تطاوعاننى على الاسراع فى تكلى.

دنيازاد: (وهى تمرر المشط بحركات سريعة فى شعر اختها) عن أى ثكل تتحدثين يا أماه؟ كيف يهون عليك ترديد هذا الكلام على مسمع من شهرزاد؟

الأم: كما هنا عليها نحن جميعاً... انا وأنت وابوك... فلولا جحودها لما اقدمت على المجازفة بنفسها من دون أن تكون مجبرة على ذلك.

شهرزاد: منا جحدتكم يوماً يا أماه... ابداً، وما اقدم على هذا العمل استهانة بنفسى، بل سعياً منى لخلاص العذارى من هذه المحنة.

الأم: وكيف يتأتى لك ذلك وأنت ستدخلين مخدع شهريار وحيدة عزلاء إلا من أنوثتك وشبابك؟ اثمة سم ستسقينه شهريار؟ أم خنجرا اخفيته ستغتالينه به؟

شهرزدا: (باستنكار) أوتحسبينى مقدمة على قتل شهريار؟

الأم: إن لم تقدمى على ذلك فكيف ستفلحين فى سعيك لخلاص بنات جنسك؟

شهرزاد: ليس بالقتل.. ابداً فأنا لا اجازف بحياتى الا سعياً منى لانهاء شريعة القتل... آخ!!.. انك تؤلميننى يا دنيازاد!

دنيازاد: عذراً يا أختاه؛ فشعرك قد انعقد حول اسنان المشط.

الأم: ارأيت كم تألمت لمجرد انعقاد خصلة من شعرك حول اسنان المشط؟ ماذا تراك فاعلة حين تحل ساعة الألم الاكبر صباح الغد؟

شهرزاد: سأعمل على ارجاء تلك الساعة اطول مدة ممكنة.

الأم: وكيف ترجئين تلك الساعة وثمة سيف مشحوذ فى انتظار عنقك مع شروق الشمس؟

دنيازاد: (صارخة) أمي!!.. ماذا دهاك؟ انها ابنتك الكبرى!... كيف يتأتى لك تعذيبها بهذا الشكل؟

الأم: (منفجرة) اخرسى انت الاخرى.. انك اصغر من أن تلقينني الحب والحنان.. ما ادراك أنت بحب الام؟ انتظرى ان نما رحمك وملأ عليك جوفك حتى كاد يخنق قلبك فى صدرك لتدركى هذا الامر؟ انتظرى حتى ينتفخ بطنك ويتشقق جلده وكأنما حز بالمدى.. انتظرى حتى تنزفى روحك قطرة قطرة عند الطلق.. بعدها فقط لن يسعك التشكيك فى حب أم لفلذة كبدها.

دنيازاد: (ناشجة، مواصلة في الوقت نفسه تمشيط شعر اختها) معاذ الله أن تشككت لحظة واحدة فى مقدار حبك لشهرزاد يا أماه.

الأم: ما تعذيبى لها الا لكى ابصرها بالهول الذى هى مقبلة عليه،

لتتداركه قبل فوات الاوان.

شهرزاد: لقد فات الأوان..فات منذ اول يوم سقط فيه رأس اول انثى.. والدائرة كانت ستدور على يوما ما، شئت أم أبيت، لتدور من بعدى على دنيازاد.. وكل ما هنالك هو أننى استبقت دورى.. لم البث قابعة فى عقر دارى اتراجف رعباً وهلعاً فى انتظار لحظة يدق فيها على الباب، إنما تقدمت من تلقاء نفسى لأقول: ها انذى!

الأم: وما ادراك بأنه لن يحدث ما ينهى هذا الامر الشاذ قبل أن يحل عليك الدور؟

شهرزاد: ذلك هو التبرير الذى تشبثت به الرؤوس التى سقطت قبلى تباعاً.

دنيازاد: (تغالب بكاءها بصعوبة) اميلى رأسك قليلاً يا أختاه ليتبنى لى تمشيط هذه الخصلة.. هكذا.. والان لنتأمل العروس (تتراجع خطوات وتستطرد بنبرة باكية) انظرى فى المرآة.. ما اجملك يا شهرزدا!... ليت لعريسك عينى بشر ليسجد لله شاكراً لحظة رؤيته لك.

الأم: وكيف تكون له عينا بشر وقد ابتلاه الله بقلب الضوارى؛ لا مفر له من أن يطفىء ظمأه كل صباح بالدم؟

دنيـازاد: انظرى يا أمـاه.. انظرى (تستل بضع شـعـيـران من بين اسنان المشط) لعل هذه الشعيرات المتخلفة من رأس شـهرزاد هى كل ما ستبقى منها غداً!! (تسقط المسشط من يدها، وتنخرط مع امها فى البكاء)

شهرزاد: (تعانق الاثنتـين) كفاكما سكباً للدمـوع.. ابقيا على شىء منها ليـوم الغـد؛ فـقـد تفـشل خطتى، فـالـتـحق بمن سـبـقنى من العـذارى، فتستصرخما روحى نشدانا للعزاء.

الأم: (من خلال دموعها) عن اية خطة تتحدثين؟

شهرزاد: اوتحسبان أننى سأقدم عنقى غنيمة باردة لسيف الجلاد؟

دنيـازاد: لن تخـدعـينا بكلامك المعـسـول يا أخـتـاه.. انما انت تحـاولين مواساتنا.

شهرزاد:أنا التى بها حاجة للمواساة: انسيت ذلك يا اختاه؟

دنيازاد: لا والله لم انس ذلـك، انما اعتدت ان اراك قويـة ثابتة الجنان، لم تتخـاذلى قط امام أعتى الصـعاب، حتى بت اسـتمد من ثبـاتك القوة فى لحظات الضعف والخذلان.

شهـر زاد:اذن ابقى على ثقتـك فى أختك الكبـيرة، وتاكدى من انـها لن تقدم على التضحية بحياتها جزافا.

الأم: ولكن.. وما هى خطتك تلك؟ ألا يسعك مكاشفتنا بها ونحن أهلك؟

شهر زاد:انها بنت لحظتها يا أماه، قد تنجح او تفشل، تبعا لوقعها على شهريار.

دنيا زاد: ألشهريار دور فى نجاحها أو فشلها؟ ياللهول!

شهر زاد:ولك انت يا دنيا زاد دور فيها كذلك!

دنيا زاد: لى انا دور فى خطتك؟

شهر زاد:اجل.. لك انت!

الأم: لا اكاد استطيع الثبات على قدمى!.. ساسقط صريعة فى موضعى إن لم تكاشفينى بخطتك العجيبة هذه!

شهر زاد:لا تستبقى الامور يا أماه.. ستعرفين بكل شىء فى حينه.

(يسود ظلام تتوهج فيه اضواء الشموع فقط، فى جين يرتفع صوت الموسيقى الى اعلى درجة ممكنة، ويستمر لحظات قبل ان يعم الصمت)

(ظلام)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(منظر المشهد الرابع من الفصل الأول نفسه)

القاضي: الان، وبعد جدل طويل توصل الطرفان فى نهايته الى قناعة بعدم جدوى اجراء المحاكمة سرية، قررت المحكمة بالاتفاق ابقاءها علنية.

المتهم: (بمرارة) اوبقى شيء يقتضى السرية والكتمان؟ لقد فضحت الاسرار كلها، واعلنت على الملأ. وانتهكت دقائق حياة شهريار، فتحول مخدعه الحصين الى مسرحية يستمتع بالتلصص عليها كل من هب ودب.

القاضي: على رسلك.. على رسلك، لم يؤذن لك بالكلام لتتحول بطرفة عين الى حامي حمى شهريار.

المتهم: مسكين شهريار.. ما اكثر ما ظلم ملكا وراوية قصص، وصانع رقوق، وناسخا، ومنضد حروف، وصاحب مطبعة، ومدير دار نشر!

القاضي: ما هذه الاحاجي والالغاز؟!

المتم: سلوا محاميتي؛ فهي من دون الحضور اجمعين، ادرى بحقيقة هذه

الاحاجى والالغاز.

المحاميـة: (بنبرة محرجة) سـيدى القاضى، يبدو أن مـوكلى يهذى، اذ ما شأنى أنا باحاجيه والغازه؟

المتهم: (من بين اسنانه) بل لك الشأن كله: فلولاك... ولولا حكاياتك... اكنت اغدو اسير هذا العصر الفاضح؟

القاضى: صمتاً!... لاتنس انك متهم يقف خلف قضبان قفص

الاتهام: لا يحق لك التحدث بما يخطر لك من افكار غريبة!

المتهم: سيدى، لولا هذه القضبان لما خطرت لى تلك الافكار!

المدعى العـام: مـا الذى دهاك يا رجل؟ لم تخـرجنا بهـذيانك من صلب الموضوع؟

المتهم: بل أنا فى صلب الموضوع.. لا ذنب لى فى جهلكم بهذه الحقيقة.. سلوا محاميتى ثانية فهى ادرى بهذا الامر ايضاً!!

القاضى: (بنبرة متسامـحة) لا بأس عليك يا رجل، اثمة ما يشغلك وتود الافصاح عنه؟

المتهم: (بأسى) ما اكثرها من أمور. تلك التى تشغلنى!

القاضى: وقتنا اضـيق من أن يسمح لنا بتبديده بالاسـتماع اليك مطولاً.

لا تنس اننا في قاعة محكمة.

المتهم: (يرفع رأسه، مجيلاً حوله بنظرات مستباطئة) تماما.. نحن في قاعة محكمة.... او استطيع نسيان ذلك؟ (إلى المحامية التى تبقى طوال ذلك الحوار تتفرس فيه بنظرة غير مصدقة) عذراً يا سيدتى، فهذا من الامور التى لا يسعنى نسيانها، فقد تبين لى بعد عمر ـ انت خير من يدرك طوله ـ أن الانسان يولد ويكبر ويموت في... قاعة محكمة!

المدعى العام: (كمن يخاطب نفسه) حقاً أنه يهذى!!

القاضى: حسن.... هيا اخبرنا بتلك الأفكار التى اوحت لك بها قبضان قفصك.. قل واوجز.

المتهم: (بعد تفكير) سيدى ما الخلود إلا.. محنة!

القاضى:(ضاحكاً) ياللفكرة العبقرية!... اعلى هذه الشاكلة تجرى تلك الافكار التى استوحيتها من قضبان قفصك؟!

المتهم: تماماً... على هذه الشاكلة.

القاضى: ولكن ما العلاقة بين قفص اتهامك هذا وافكارك تلك؟

المتهم: ذلك لأن الخلود لا يختلف في واقع الامر عن هذا القفص؛ اذ إنه بدوره اشبه بقيد يحد من حرية المرء.

القاضي: (باستمتاع، وهو يبادل عضوي هيأة المحكمة نظرات سريعة) وكيف تأتى لك الوقوع على هذه الفكرة... النادرة؟!

المتهم: (مبادلاً المحامية نظرة خاطفة) وقعت عليها لأسباب عديدة ساترك لمحاميتي ثالثة مهمة كشفها، أن راق لها الامر بطبيعة الحال، وسأكتفي بذكر واحد منها هو وقوفي داخل هذا القفص.

القاضي: ما نزال نجهل العلاقة بين الامرين.

المتهم: ذلك لأن الخلود نقيض الحرية؛ اذ لا مفر لانسان ما لكي يخلد من ان يغدو اسير كتاب مثلا (يبادل المحامية نظرة اخرى) شأن صاحبنا شهريار في «الف ليلة وليلة» ... او يغدو اسير تمثال ... او موقعة حربية ... او حدث تاريخي ... او مأثرة من المأثر.

القاضي: (باستنكار) انك بذلك تدعو الناس الى ان يعيشوا اعمارهم كالبهائم من دون التفكير بترك ذكر لهم من بعدهم.

المتهم: ابدا ... انما احضهم على ان يتمسكوا بحريتهم؛ فقد قدر للانسان ان يولد مرة واحدة، فما احراه بأن يعيش حياته تلك بشكل حقيقي، تاركا لمن يأتي من بعده مهمة جدارته بتخليد ذكر له ام لا فالموتى لا يقلقهم كثيرا أن يسلي الاحياء بعضهم بعضا بهذه الامور.

المحامية: (مقاطعة) سيدى القاضى، اعذروا موكلى؛ فهو ليس فى حالة نفسية سوية .. انه مريض.

المتهم: (صارخاً وهو يشد بقبضتيه على قبضان القفص) بل مجنون! ... هيا قوليها لهم واريحى نفسك: اليست تلك هى الكلمة التى يسيل لها لعابك؟

القاضى: اهدأ .. اهدأ .. لا تجعلنا على سماحنا لك بالافصاح عن افكار مجالها الصحف والمجلات الحريصة على حريتك لاقاعة محكمة تتلخص مهمتها بادانتك او تبرئتك.

المتهم: سيدى القاضى ...

القاضى: (مقاطعا بصرامة) صمتا .. فى ما قلته الكفاية.. والآن ندعو محامية الدفاع لاسماعنا مطالعتها.

(ظلام)

المشهد الثانى

(منظر المشهد الثانى من الفصل الأول. الشموع وقد ذاب بعضها وانطفأ، وبعضها الاخر ما يزال مشتعلاً لم يبق منه سوى اعتابه. الوزير يذرع الارض، ملقياً من حين إلى حين نظرات من خلال النافذة، حيث تبدو

السـمـاء وقد شـفت عن وهج الفـجـر. تجلس الأم على احـد الكراسى، متابعة زوجها بعينيها)

الوزير: اين هى؟ ها؟ اين هى دنيـازاد؟ لم لم يظهر لهـا اثر بعد؟ هـيا... خبرينى... وكفى عن متابعتى بتلك العينين الباعثين على اليأس.. لم لم يظهر لها اثر بعد؟

الأم: (نائحة) سـتظهر.. من المؤكـد انها سـتظهر بين لحظة وأخـرى، وما عليك إلا أن تتمسك بالصبر.

الوزير:عن أى صبر تـتحدثين يا امرأة؟ لقد امـضيت الليل كله وأنا اذرع الارض بانتظار حلول الفـجر، وها هـى الشمـس اوشكت على الشـروق من دون أن يظهر لها اثر، وأنت تحدثيننى عن الصبر!

الأم: (فزعة) أأوشكت الشمس على الشروق حقاً؟

الوزير: اوتريدينها ألا تشرق إكراما لك؟

الأم: وشهـرزاد؟ كاد الموعـد الرهيب أن يأزف يا رجل... كيف السـبيل إلى نجاتها؟

الوزير: (بحـقد) أنا لا افكر الآن فى شـهرزاد؛ فـقد اخـتارت مـصيـرها بنفسهـا، وما من قوة فى وسعها تغـيير ذلك... اتسمعـين؟ ما من قوة فى

وسعها انقاذها... انا لا افكر فيها، انما افكر فى دنيازاد.

الأم: (تبكى) ارفق بى يا رجل.. لا تحدثنى بهذه الطريقة الفظة.

الوزير: لا يسعنى اخبارك الحقيقة على انغام الرباب.. بل ليست بك حاجة إلى كلام من هذا النوع؛ فأنت ادرى الناس بأن امر شهريار نافذ لا محالة.

الأم: (تضرب كفاً بكف) ارحمنى يا رجل.. ارحمنى ولا تصبنى بالجنون.

الوزير: أوتحسبين نفسك عاقلة؟ خبرينى بالله اتحسبين نفسك تمتلكين عقلاً؟ اين العقل مما اقدمت عليه؟

الأم: وما ذنبى أنا فى ذلك؟ ثم متى كان فى وسعى - بل فى وسعك أنت - منع شهرزاد عن امر صممت عليه؟

الوزير: هراء كان عليك التدخل هذه المرة.. كان عليك اخبارى لأضع حداً لعبثها. أما اكتفت بالمجازفة بحياتها لتورط معها اختها ايضاً؟

الأم: وكيف كان فى وسعى اخبارك فى تلك الساعة العصبية، وأنت فى القصر الملكى، تشارك شهريار استقبال شهرزاد عروساً له؟

الوزير: لقد فرطت بدنيازاد من دون جدوى.. اعترفى بذلك.. لقد

فرطت بابنتيك الاثنتين فى ليلة شؤم واحدة.

الأم: لو سمعتها لو سمعت شهرزاد وهى تحدثنى عن خطتها لما استطعت الا الموافقة على ما ارادت.

الوزير: ألم تكفنا خططها التى اودت بها لتودى هذه المرة بأختها؟

الأم: وما ادرانى أنا؟ قالت أنها ستبعث بطلب دنيازاد بعدما يختلى الملك بها.. اكان يسعنى رد طلبها ذاك؟

الوزير: ولم تبعث فى طلبها؟ لتعزف لها الموسيقى لحظة يطاح برأسها بعيداً عن عنقها؟

الأم: (وقد شرعت فى الغضب) ألا تستطيع أن تخفف من قسوتك بعض الشيء؟ لست وحدك من ستذوق مرارة الثكل.. لا تنسنى، فأنا بدورى امها.. شهرزاد ليست ابنتك وحدك، بل أنها ابنتى ايضاً.. لاتنس ذلك.

الوزير: (بلؤم) وأنت بدورك لا تنسى أنك ستثكلين فى ابنتيك الاثنتين، لا فى واحدة منهما!

الام: (تدق صدرها) ماذا؟ اتقتل دنيازاد ايضاً؟ خاب فالك يا رجل!

الوزير: اجل.... ستقتل هى الاخرى، أن لم يحدث ذلك اليوم فسيحدث

بعـد ايام؛ فقـد عرف شـهـريار الان أن لنا ابنة ثانيـة غيـر شهـرزاد. ومن المؤكد أنه سيطلبها عروساً له يوماً ما!

الام: (تعول باكية) خاب فالك.. خاب فالك.. تقوله متشفياً كمن يتمنى حصوله!

الوزير: (ممعناً فى تعذيبـها) هو حاصل من دون شك؛ فمـا تكاد الشمس تشرق، ويـنفخ الحراس فى الابواق، حـتى يكون رأس احداهمـا قد طار عن عنقها!

الام: (منفجرة) وبذلك تضمن سلامة عنقك يوماً اخر!

الوزير: (مصعـوقاً وهو يتجه نحـوها) ماذا؟ ما الذى تقولين؟ اسـمعينى اياه كرة اخرى، فسمعى قد يكون خدعنى!

الأم: (بنبرة مـتحـدية وهى تنهض) لالم يخدعك؛ فـما قلت الا مـا كان على أن اقوله منذ امد طويل.

الوزير؛ (يدس سبـابته فى صـدرها بطعنات متـتابعة مع كل كلـمة ينطق بها) أنت.. أنت.. المتباكية.. البائسة التى تتعثر بذيل ثوبها... انت.. انت تجابهيننى بمثل هذا الكلام؟

الاتخشين أن ابطش بك اللحظة؟

الأم: (باستهانة) ما من ميت يخشى أن يموت ثانية فما أنا من دون ابنتي إلا جثة واقفة على قدمين.

الوزير: (يتأملها لحظات) لولا يقيني بأن عقلك طاش هولاً وفزعاً لكان لي معك شأن اخر.. ولكن لا بأس.. سيحين يوم الحساب ريثما تهدأ هذه الامور وعندها.. (يواصل ذرع الارض) وعلى كل حال اغاب عنك أنه لولا سلامة عنقي هذا لما وسعك اثقال عنقك بنصف قلائد المدينة وحيلها؟

الأم: (باستسلام) وعنقي ايضاً.. لا اكتمك بأنه كانت تهمني سلامته؛ فما اكثر ما هونت على شهرزاد جرائم شهريار، طالبة منها ان تضع بينها وبين ما يجري في الخارج ستارة اكثر سمكاً من تلك، غير مدركة أنه سيحل علينا نحن الاثنتين الدور، اذ أن لي الان ان افكر في مئات العذارى اللائي وقفن وقفة شهرزاد اليوم، وفي مئات الامهات اللائي وقفن وقفتي هذه... الان فقط ادرك مبلغ إثرتنا نحن البشر؛ تكاد طعنة الخنجر وهي تنحر غيرنا لا تعادل وخزة دبوس للحمنا!

الوزير: (متهكماً) حمداً لله لأن دم شهرزاد المراق انطق لسانك بالحكمة اخيراً.

الأم: الا يكفى الحمل والوحام والمخاض والطلق والولادة، الا تكفى هذه الامور كلها المرأة لتعلمها الحكمة لحظة فقدها فلذة كبدها؟

الوزير: حكمة فات اوانها بعض الشيء، فلو أنها كانت قد استبقت زفة شهرزاد وجنبتها مصيرها لكانت فى موضعها تماماً.

الام: هكذا انتم الرجال ابداً: ما اسرعكم فى تحميل نسائكم خطاياكم من دون أن يرف لكم جفن.

الوزير: وما هى خطيئتى فى حق شهرزاد؟ الم احطها برعايتى واهتمامى منذ صغرها؟

الأم: خطيئتك فى حقها بدأت منذ اول ليلة قدت فيها اول عذراء إلى مخدع شهريار.

الوزير: او كان فى وسعى ألا أن امتثل لأمر الملك؟

(ينطق صدح الابواق من الخارج، فيثب الوزير نحو النافذة، فى حين تتهالك الام منهارة على الكرسى)

الأم: (تدق كفاً بكف) ويلى عليك يايمامتى الاسيرة.. اوتسلمين عنقك الرقيق اللحظة لسيف الجلاد؟

لوزير: هاهم الحرس يشرعون بوابة القصر على سعتها... هاتى الكفن؛

فقد حان موعد توجهى إلى هناك.
الأم: شلت يداى إن أنا لمسته.. خذه انت.
الوزير: (بهياج) انتظرى.. ثمة جارية تغادر بوابة القصر!
الأم: (برجاء) ماذا؟ اقلت أنها جارية؟
الوزير: انها تقطع الشارع نحونا، متطلعة إلى هذه النافذة!
الأم: (باكية) تراها من تكون... دقق النظر فيها جيداً لتعرف من تكون..فانا عاجزة عن التحرك عن موضعى قيد انملة كأنما شلت ساقاى!
الوزير: بشراك ايتها المرأة.. انها ليست غير دنيازاد؛ ها انذا اراها بوضوح تحت اول شعاع للشمس المشرقة!
الأم: أدنيازاد وحدها؟

(ظلام)

المشهد الثالث

(منظر المشهد الثانى من الفصل الاول نفسه. تدخل دنيازاد فيثب الوزير نحوها، فى حين تتشبث الأم بما حولها من اشياء محاولة النهوض لتدب بصعوبة على ساقيها، متخذة سبيلها نحو ابنتها)
الوزير: (ينقض على دنيازاد ممسكاً اياها من رسغها، ويسحبها نحوه

بطريقة فظة تكاد تسقطها ارضاً) ادخلى.. ادخلى.. لا اكاد اصدق عينى!.. أيعقل أنك خرجت حية من مخدع شهريار؟

الأم: او كنت تريدها أن تقتل هى ايضاً؟ ترفق بها يا رجل، الا تراها لا تكاد تقوى على الثبات على ساقيها؟ (تصل إلى دنيازاد، فتقودها نحو احد الكراسى) تعالى.. تعالى واجلس على هذا الكرسى، والتقطى انفاسك على مهل.

دنيازاد: (تجلس) اكاد اموت لفرط شعورى بالنعاس.

الوزير: (يبادل الأم بنظرة دهشة) تموتين من فرط النعاس؟ ذلك أمر يمكن علاجه بالنوم مادمت لم تموتى بها لا سبيل إلى علاجه بأى شكل من الاشكال!

الأم: (تنحنى على دنيازاد، وتحضنها من كتفيها) اسندى رأسك إلى صدرى يا حبيبتى.. ونامى ما طاب لك النوم.

دنيازاد: امضيت الليل كله ساهرة لم يغمض لى جفن.

الأم: اخوفاً ورهبة من شهريار يا طفلتى؟

دنيازاد: بل شغفاً بحكاية شهرزاد.

الوزير: (صارخاً) ماذا؟ شغفاً بحكاية شهرزاد؟

الأم: اية حكاية تلك هى التى شغفت بها؟

دنيازاد: (تنتقل بنظراتها بينهما) ألا تصدقان ما اقوله لكما؟

الوزير: اوتحسبين أن ما تقولينه أمر يسهل تصديقه؟

دنيازاد: ولكن ذلك هو الذى جرى.. اتريدينني أن اختلق امراً اخر؟

الأم: على رسلك يا رجل.. دعها تحدثنا بما لديها (إلى دنيازاد) هيا يا أبنتى، سارعى باخبارنا بمصير شهرزاد.. عجلى رفقاً بأمك الشقية.

الوزير: تكلمى.

دنيازاد: لقد اوصتنى شهرزاد البارحة، قبل حملها إلى قصر شهريار مباشرة، بأن اوفيها هناك لحظة تبعث فى طلبى.

الأم: صحيح.. ذلك ما قالته؛ فتلك هى خطتها.

الوزير: دعيها تكمل

دنيازاد: قالت لى أن اطلب منها أن تحدثنا حديثاً غريباً نقطع به السهر.

الوزير: تحدثكما حديثا تقطعون به السهر فى اخرليلة تبقت لها من عمرها؟

دنيازاد: ذلك ما حصل فصدعت لطلبها، ورجوتها على مسمع من الملك أن تحدثنا، فاجابتنى: حباً وكرامة أن اذن لى الملك، فأذن لها..

الأم:(مقـاطعة) ولكن اى حديث غـريب هذا الذى ما اختارت شـهرزاد لروايته الا اخر ساعات عمرها؟
الوزير: أحاولت اقناعه بحديثها ذاك بالعدول عن ضرب عنقها صباحاً؟
دنيازاد: ابداً... لم تـتطرق لهذا الامر من قـريب أو بعيـدا. وإنما امضت ساعات الليل على طولها تقص علينا حكاية؟
الوزير: انتظرى..دعينى استوعب الامر على مهل قبـل أن يصاب عقلى بلوثة... آأمـضيتمـا الليل ـ أنت والملك ـ تستمـعان الى حكاية ترويهـا شهرزاد؟
دنيازاد: وكانت من أجمل الحكايات، واكثرها فتنة حتى أننا لم نشـعر الا وقد انقضى الليل.
الوزير: ولكن ما جدوى رواية حكاية فى مـثل الوقت العصيـب؟ (يصفع جبينه بغتة)انتظـرى.. تذكرت الآن؛ فقبـل ايام سألتنى شهـرزاد أن كان الملك شغوفاً بالـسمر والاستماع إلى الحكايات؟ وحين اخـبرتها بأنه من اكثر الملوك شغفا بالسمر والاستماع إلى الحكايات؟ وحين اخبرتها بأنه من اكثر الملوك شغـفاً بهذه الامور، صاحت وهى تصفق بيـديها فرحاً أن لديها الدواء الناجع لشـفائه من جنونه.. قال أنها ـ لو اتيحت لهـا فرصة

اللقاء بها ـ لعالجته بسحر الكلمة!

دنيازاد: استنتاج صحيح من دون شك، فما بعثتنى إلى غرفتها هذه الا لاحمل لها اوراقها وادواتها وريشتها لتضيف إلى ما كتبته حتى الآن القسم الذى روته من الحكاية.

الوزير: تحملين اليها اوراقها لتدون فيها الحكاية؟ (يهرع إلى الطولة ليقلب فى الاوراق المركونة فوقها) ولكنها اوراق فارغة.. مئات من الورق الابيض باستثناء هذه الاوراق المعدودة.. ترى ما الذى كتبته فيها؟ (يتمتم قارئاً لنفسه سطراً من هنا وسطراً من هناك قبل أن يصيح بانتصار) تعالا.. اسرعا وانظرا لتعرفا ما الذى كانت شهرزاد منهمكة فى كتابته!... (ينهمك الثلاثة فى القراءة بعض الوقت قبل أن يتبادلوا نظرا الدهشة) من الواضح أنها كانت فى سبيبها إلى كتابة حكاية شهريار منذ ارسالى لاستدعاء اخيه شاه زمان حتى شروعه فى قتل النساء!

الأم: ولكن... اى شىء تخرج به شهرزاد من حكاية تنتهى بضرب عنق اول امرأة؟

دنيازاد: بل انها تبدأ بذلك يا أماه؛ فمنذ ايام نبشت طويلاً على امتداد نهار كامل فى هذه الرفوف بحثا عن كتاب غاب عنوانه عن ذهنها.

الوزير؟: وما كانت حاجتها بذلك الكتاب؟

دنيازاد: قالت: أنه يحتوى على بعض حكايات رائعة بضمنها حكاية معينة أسمها «حكاية التاجر والجنى» كانت سبب بحثها عن ذلك الكتاب

الوزير: أى الحكاية نفسها التى قصتها عليكما؟

دنيازاد: هى نفسها.. لكنها لم ترو منها سوى قسمها الاول؛ فما ان صاح الديك معلناً أنه قد ادرك شهرزاد الصباح حتى سكتت عن الكلام المباح

الأم: عجباً.. اتلك هى خطتها لتفوز بحياتها؟ ترى كيف يتأتى لها ذلك برواية قسم من حكاية؟

دنيازاد: يبدو أنها تهدف بذلك إلى امر ما، فحين اثنيت على طيب حديثها ولطفه ولذته وعذوبته، قالت: واين هذا مما سأحدثكما به الليلة القادمة أن عشت وابقانى الملك؟

الوزير: (وقد فاض به الفضول) انتبهى يادنيازاد، أتتذكرين فكرة تلك الحكاية؟

دنيازاد:وهل تنسى حكاية مثلها؟

الوزير: حسن.. حاولى الآن ايجازها لى،، خبرينى بالفكرة التى استنبطتها عنها فى اثناء استماعك إلى اختك.

دنيازاد: انها بـاختصار حكاية تاجر قـتل مصادفة ابنى جنـى، فقرر الجنى قـتله، وصادف أن مـر ثلاثة شيـوخ بذلك التـاجر، اولهم يسـحب وراءه غزالة مسلسـلة، والثانى يصطحب معه كلبتين سلوقيتـين سوداوين، أما الثالث فـبرفقـته بغلة زرزورية وحين هم الجنـى بقتل التاجـر بكى الشيخ صاحب الغزالة وقـبل يد العفريت وسأله أن حكى له حكـايته مع الغزالة وهى ابنة عمه وقد مـسخت بتلك الصورة ـ ورآها عجيبـة، ايهبه ثلث دم التاجر؟

الوزير: يهب ثلث دمه لقاء أن يروى له حكاية؟ حسن... اكملى

دنيازاد: لـيس لدى ما اكـمله، فقد قـطعت شهـرزاد حكايتهـا، وارجأت اكمالها إلى الليلة التالية.

الوزير: عـجباً.. اتطمع إلى أن يهب لـها شـهـريار دمهـا لقـاء روايتهـا للحكايات.

الأم: (ناشجة) ياليمامتى الذكية!

دنيـازاد: يبدو الأمر كـذلك؛ فقـد قطعت حكايتـها فى اكـثر مـواضعـها تشويقاً واثارة للفضول.

الوزير: (مبتـسماً) بوركـت من فتـاة قل نظيرك بين النساء ياشهـرزاد؛ فها

أنت وقد فـزت بليلة من عمـرك (يتكدر فجأة) ولكن.. كم لـيلة يسعك رواية الحكايات؟... تلك هى المعـضلة يا أرجح النساء عـقلاً.. كم ليلة تقتنصينها من عمرك من تحت سيف الجلاد؟!

(ظلام)

المشهد الرابع

(منظر المشهد الرابع من الفصل الاول نفسه)

المحامية: الف ليلة وليلة.. على مدى الـف ليلة وليلة بقيت شهرزاد تقود ثورتها السلمـية، مغذية اياها بالقصص السـاحرة، والاحاديث العجـيبة، حاملة شـهريار على اجنحـة الخيال إلى جـزر الواق واق، وإلى ما خلف جبل قاف، لابسـة لكل حـالة لبـوسـهـا فـتـارة هى راوية قـصص، وتارة شاعـرة، ثالثـة فيلسـوفة وحكيـمة، وعـالمة نفس، وخبـيرة بطبع الـرجال والنساء، بـل الحيوان ايضـاً.. عليمـة بعوالم الانس والجن. ملمـة باسرار الارض والبحار والسماء (وقفة مدروسة) والنتيجة؟ ماذا كانت النتيجة؟ فى نهاية الليلة الواحدة بعد الالف، مع ختـام قصة «معروف الاسكافى» كانت قد اتمت تـدوين كتابها، فاسـتأذنت شهريار لتـصيح على الدادات والطواشية امـرة اياهم بأن يأتوا لها بأولادها، فجاؤوا بهم مسـرعين، فاذا

بأولهم يمشي، وثانيهم يحبو، وثالثهم يرضع. فأما الكتاب فكان ـ كما لاشك في انكم تتكهنون ـ«الف ليلة وليلة»، وأما الذكور الثلاثة فكانوا ابناء شهريار الذين حملت بهم وولدتهم تباعاً في اثناء سردها لحكايتها على ابيهم، محيلة بذلك اياه إلى أب وحاكم عادل؛ اذ كان ذلك اخر العهد بضرب اعناق النساء.

القاضي: بعد استماعنا إلى مطالعة الدفاع اهناك ما يود المتهم قوله قبل رفع الجلسة؟

المتهم: (قانطاً، محني الرأس، يتجنب مبادلة المحامية النظر) سيدي، وما الذي يسعني قوله بعدما استمعنا مطولاً إلى شهرزاد؟!

القاضي: (مصححاً) تعني محامية الدفاع، فشهرزاد امست في ذمة الخلود منذ قرون عديدة.

المتهم: سيان.. لافرق، فبفضل براعة المحامية في استلهام شخصية شهرزاد اختلط على الامر حتى كدت احسبها اياها لولا روب المحاماة!

القاضي: محال.. كيف يختلط عليك الامر وثمة فجوة زمنية هائلة تفصل الاثنتين عن بعضهما؟

المدعي العام: عذرك سيدي القاضي، يكاد هذا الامر أن يكون الوحيد

الذى اوافق المتهم عليه، بل اضيف بأن ما سبق لى أن حذرت من وقوعه قد حصل؛ اذ ان هذه المحاكمة لم تمتد اياما عديدة حسب، بل انها تحولت إلى مسرحية لعبنا فيها ادوار الممثلين، ولم يبق الان سوى ان ينفجر ذلك الحشد بالتصفيق، فننحنى لهم شاكرين قبل انزال الستار.

القاضى: ترفع الجلسة لغرض المداولة واصدار القرار.

(ستار)

شتاء ١٩٩٥/ ١٩٩٦

المهـــــرج

عواطف نعيم

المنظر:

المسرح فى حالة اظلام

مسقط ضوئى جانبى يبدأ بالتوهج تدريجيا، ليكشف لنا عن كرسى من الخيزران تشغله امرأة مسنة..

المرأة غافية .. رأسها يميل على احد كتفيها

صور شخصية تتدلى من اعلى سقف المسرح بتنويعات وارتفاعات مختلفة ..

كرامفون قديم الى يسار كرسى المرأة .. الاسطوانة تدور حول نفسها .. لا نسمع سوى حركة دوران الاسطوانة.

على مسافة من الكرامفون القديم، يقف مهرج، يرتدى الملابس التقليدية الملونة، الا انه يمثل الوجه الحزين للمهرج.

المهرج ينظر حيث تغفو المرأة المسنة..

مرآة كبيرة الى يمين المرأة

على مسافة من كرسى المرأة، علق قفص عصفور، يرتفع على مقربة من الكرامفون.

تسقط من حجر المرأة كرة من الصوف تتدحرج مبتعدة ..

المرأة تنتبه .. تتلفت حولها
المهرج يتأمل المرأة..
المرأة تنظر الى المهرج برهة، ثم تشيح عنه.
المرأة تحدق صوب الساعة الجدارية المعلقة .. ثم تلتفت نحو باب الدار.
المرأة تعود الى وضعيتها الأولى .. تميل برأسها على كتفها
الاضاءة مركزة .. تعطى احساسا بالسرية والغموض.

الانتباهة الأولى:

المرأة: لم يحضروا بعد!!
ما الذى أخرهم؟؟ المفروض ان يصلوا قبل الظهر.. هذا ما أخبرونى به قبل أسبوع .. بل قبل أسبوعين .. لا اذكر على وجه التحديد منذ متى..
أيا كانت المدة، وأيا كان التاريخ، المهم حضورهم .. أما هزهم الشوق الى كما هزنى لهم؟!!
ربما شغلهم عن الحضور أمر عاجل، ارتباط عمل،
زيارة مفاجئة لاصدقاء أعزاء..
نعم، فلديهم الكثير من الاصدقاء وبيتهم لا يخلو من الصحاب..
«تطرق برأسها متأملة .. ثم ترفع رأسها وتنظر فى نقطة محددة أمامها»

لكني لا أملك سواهم أصحابا واصدقاء ..
وبيتي بدونهم مظلم لا حياة فيه..
خصوصا ذلك الطفل الجميل، الكثير الحركة وائل .. الماكر ..
ما أشد شبهه بأبيه حين كان في مثل سنه..
نفس الحركات المشاكسة والكركرات الصاخبة..
التي لا تملك ازاءها الا ان تضحك معه وبصوت عال..
الانتباهة الثانية:
«المرأة تلوح منها التفاتة نحو المهرج .. الذي ما ان يبصر نظراتها اليه حتى يحاول ان يتقدم نحوها .. الا انها توقفه بحركة من يدها..»
المرأة: لا .. لابد من حضورهم .. لا تكن عجولاً..
انا واثقة مما أقول، سيحضرون لرؤيتي..
قد يتأخرون بعض الوقت بسبب الطريق. أو شراء بعض الهدايا لي
هم يحبون مفاجآتي بين الحين والحين ..
الا انهم في النهاية سيصلون ، وسنلهو كثيرا ..
أعددت كل شيء لمجيئهم..
الطعام الذي يحبه ابو وائل .. والفاكهة والحلوى .. خاصة تلك القطع

الصغيرة من حلوى الحليب التى يحبها وائل.

«تضحك وهى تتذكر»

ما أجمله وهو يلتهمها بفمه الصغير المدور..

واحدة فى الفم، والأخرى بين الأصابع...

فى طريقها الى فمه، والصحن بين احضانه..

المهرج: «المهرج يحاول ان يكلمها»

المرأة: انتظر .. ليس الآن..

لم يحن الوقت بعد .. ليس قبل رؤيتهم

المهرج: «يعود الى زاويته ونظره نحوها»

«المرأة تحاول ان تقترب من جهاز الهاتف .. نظرة الى الجهاز .. ونظرة الى المهرج الذى مازال يتأملها .. المرأة تدير بعض الأرقام .. تصغى الى الطرف الآخر. تضع السماعة فى مكانها .. تكلم نفسها..»

المرأة: مشغول .. بل يوجد من يجيب..

طبعاً، من يجيب وهم فى طريقهم الى هنا!!

الانتباهة الثالثة:

«المرأة تتحرك نحو قفص العصفور»

المرأة: آه يا صديقى المسكين .. وحيد مثلى ..
لابد انك فى شدة الجوع؟
ولكن .. لا .. لقد احضرت لك طعامك .. قبل ..قبل .. لا اذكر بالضبط، ولكنى واثقة من أنى احضرته لك .. كما احضرت لك ماء..
ما بالى أصبحت كثيرة النسيان؟؟!
هل بلغ الأمر بى حد نسيان الاشياء والأوقات؟
لا .. ليس الأمر بهذه الصورة ..
نسيان أمر بسيط، مثل الاتفاق على موعد..
او احضار الماء الى عصفورى المسكين..
لا يعنى انى اصبحت فى حالة تشوش الذهن وعدم التركيز..
أمر عابر .. ذاكرتى ما تزال سليمة
«تلتفت نحو المهرج مؤكدة»
اؤكد لك ان ذاكرتى ما تزال سليمة
المرأة: انا اذكر مثلا متى..
نعم متى جاء فى هذا القفص، ومن الذى اهداه لى..
وفى أية مناسبة..

المهرج: «تساؤل منه»
المرأة: انه ولدى .. نعم..
أهداه لى منذ خمس سنوات بعد تخرجه من الجامعة..
المرأة: وقتها كنا ما نزال معا..
لم يكن قد تزوج وذهب بعيدا ليعيش مع زوجته..
وليكون اسرته الصغيرة
يزورنى بين اسبوع واسبوع، ثم اصبح يزورنى بين شهر وشهر .. ثم اصبح يزورنى بين كل ثلاثة أشهر .. ثم .. ثم .. ولكنه يزورنى مع أسرته..
وان لم يستطع، فهو يتصل تليفونيا ليطمئن على.
هو لا ينسى أمه..
أهدانى هذا القفص، ومعه عصفور صغير لطيف
هو يعرف كم احب العصافير..
وكم أسعد وأنا ارقبها حين تخفق بأجنحتها بتلك الحركة السريعة..
ثم تقفز نحو الفضاء، وتطير..
أحب طيرانها المتوتر .. القلق .. المندفع..

فى اليوم الأول حين أهدانى ولدى القفص..
اشفقت على العصفور الذى فيه.
تعمدت ان اترك باب القفص مفتوحا كى يتحرر ..
ينطلق .. منحته الحرية ، تلك التى كنت دائمة الحلم بها..
لكنه دار فى غرف الدار..
ثم عاد الى القفص.
أكان خائفا من حريته؟؟ أم كان خائفا مما وراء تلك الحرية؟!
عاد الى القفص..
لكنه مالبث ان بقى فيه يومين فقط..
ثم وجدته متيبسا لاحراك فيه..
لم يلتقط حبة ..
لم يرتشف قطرة من كأس مائه..
جاءنى بعدها ولدى بعصفور آخر ..وآخر .. ثم آخر ..
ثم هذا العصفور...
الذى تعود على قفصه كما تعودت على جدران هذا البيت.
«المرأة تتحرك نحو المهرج .. تتوقف أمامه .. ثم تعود لتقف قرب

الكرامــفــون القــديم .. توقـف دوران الاسطوانة .. تضع الابـرة على الاسطوانة فى بدايتها، لينطلق صوت غناء قديم..»

الانتباهة الرابعة:

المرأة: كم يحتاج الانسان كى يتعود على الجدران؟؟

على مواجهتها يوميا؟..

على التجوال بين حدودها يوميا؟؟

كم يحتاج من وقت كى يقتل في داخله تلك المشاعر الضاجة التواقة الى ما وراء الجدران التى تحيط به؟؟

كم يحتاج الانسان من الارادة..

كى يسدل ستارا بينه وبين صخب الحياة..

وحركة الناس المتدفقة؟؟

انت لا تعرف كم يحتاج، لا تستطيع ان تحدد الزمن..

فهذا يتوقف على الانسان نفسه.

ماذا يخاف؟ ماذا يريد؟

ما الذى يبغيه أكثر...؟

ان يكون ذا قدمين تنقلانه من مكان الى آخر...

لينفذ ما يطلب منه.
او ان يكون ذا عقل وقلب يصنع الحياة التى يريد.
لو انى فتحت الآن باب هذا القفص..
هل سينطلق عصفورى المسكين محلقا الى الأعلى...
فرحا بعالمه الرحب الواسع؟
يبقى؟.. ما الذى يبقيه؟ اعتياده المكان؟
خوفه مما ينتظره هناك، وتفضيله السلامة عوضا عن مواجهة المخاطر؟
أنت لا تدرى وكذلك أنا..
كلانا لا يعرف ما الذى ينبغى عليه ان يفعل..
عندما تضيق الأمور حد الاختناق
«تسمع المرأة صوتاً عند باب الدار .. تنتفض .. تتوجه ببصرها نحو الباب .. يتحفز المهرج هو الآخر .. ينظر نحوها».
الانتباهة الخامسة:
المرأة: أيكونون هم؟؟ حضروا أخيراً..
يا لها من فرحة..
أود لو أثب الى الباب وأضمهم الى..

«تندفع نحو الباب على جانب المسرح»
المهرج: «يتحرك ليصبح وسط المكان..»
«يسمع صوت فتح باب .. دقات ساعة قديمة تعلن الرابعة .. صوت المرأة تتكلم خارج المسرح»
المرأة: البيت الثالث على اليمين. نعم الذى أمامه سيارة زرقاء، نعم لا بأس .. لا داعى للاعتذار..
«غلق باب .. تدخل المرأة .. تواجه المهرج»
المهرج: «ينظر الى المرأة باستفهام»
المرأة: يخطئون مرة ثانية..
يطرقون بابى ويسألون عن منزل الدكتور سعيد..
دائما يطرقون باب دارى، ودائما أدلهم على منزل الدكتور سعيد الذى يقع بعد منزلى بمنزل..
ولكن لا بأس، ليخطئوا، وليسألوا..
فى الاقل استطيع ان اتبادل الحديث مع أحد..
حتى لو كان هذا الحديث حديثا عابراً..
لا يتضمن سوى السؤال والجواب.

المهرج: «يتقدم نحو المرأة ماداً لها ذراعيه..».
«المرأة تجفل .. تتراجع الى الوراء».
المرأة: لا .. قلت لك لها..
لم يحن الأوان بعد.
لو أرادوا عدم الحضور، لاتصلوا بي ليعتذروا.
وبما أنهم لم يفعلوا ذلك .. سيحضرون.
ما هي الا دقائق ونسمع جرس الباب يقرع ..
ثم صراخ وائل ودورانه داخل الدار...
قالباً، مبعثرا كل الاشياء التي تعترض طريقه.
وبعد ان يقوم بجولته المعتادة داخل غرف الدار...
يأتي ليسلم على صديقه العصفور.
وبعد ذلك يأتي ليطبع قبلة سريعة على هذي ...
ويبحث في جيوبي عما خبأت له من حلوى..
المهرج «مؤشرا بيده..»
المرأة: لننتظر دقائق أخرى من أجل عيني وائل..
المهرج: « يتنهد ..» «يعود الى جلسته وعيناه لا تفارقان المرأة».

«المرأة تعود الى الحركة القلقة .. تقترب من المرأة .. تتوقف .. تتأمل صورتها .. تبتسم ..».

الانتباهة السادسة:

المرأة: أنيقة .. شيء لطيف ان يكون الانسان أنيقا...

يرتدي بعناية ملابسه ...

يختار الألوان التي تلائم المناسبة حين يدعى الى مكان ما.

ولدي يحب ان يراني أنيقة على الدوام..

كان دائما يفاخر بأناقتي وعذب حديثي.

يا أمي انت انيقة .. عذبة الحديث.. ما أسعدني بك.

«تضحك»

هو يحب اناقتي وعذب حديثي..

وأبوه يحب ابتسامتي وعيني

«تحدق عبر المرآة»

عيناي دفء وحزن

كان يرى في نظرتهما غموضا

أي غموض في نظرة امرأة اختارته دون الرجال جميعا ... ليكون الحبيب

والزوج؟؟

«تنظر نحو المهرج»

كيف التقيت وإياه؟

اذكر ذلك اللقاء .. الفرحة.

تدفق الدم فى الوجنتين، ووجيب القلب للمسة الأصابع أول مرة.

«تبدأ تمثل ذلك اللقاء»

عفوا لو سمحت ..

أين الطريق الى مكتبة الكلية؟

انت طالبة من طالبات الصف الأول فى الكلية؟

حسنا يسعدنى ان ادلك الى مكان المكتبة..

بل يسعدنى ان ادلك على كل الأماكن التى ترغبين الوصول اليها.

المهرج: «يتحرك محتجاً ...»

المرأة: نعم .. نعم .. أدرك ما تريد.

اللقاء لم يكن بهذه الصورة تقريباً.

كان حماسه لايصالى الى مكتبة الكلية أقل بقليل مما ذكرت..

المهرج: «يحتج ...»

المرأة: معك حق .. كان حماسة اقل مما ذكرت
لكنى ذكرت ما تمنيت ان يكون على حماسه حين سألته.
ظل معى طيلة سنوات الدراسة الأربع
حتى بعد تخرجه قبلى، لم يفارق الكلية..
كي يكون قربى فى الأماكن التى أذهب اليها.
المهرج: «يحتج بشدة...»
المرأة: آه .. معك حق، ها أنا ذا أبالغ مرة أخرى.
حسناً أنا أصور الأمر كما أود ان يكون، كما تمنيت أن يكون.
أحبته .. كنت أتلهف الى لقياه...
أسعى الى الأماكن التى اعرف انه موجود فيها..
كى أحظى منه بنظرة.
لا أخجل من ذلك...
الآن بعد كل تلك السنين لا أخجل من ذلك.
أحببته بصمت، بألم، وكان هو يعرف.
يحس محبتى فى حيرتى أمامه..
فى ارتباكى عندما تلتقى عيناى بعينيه..

في توقف الكلمات وارتجافها عند شفتي.
الآن لم تبق سوى الذكريات والصور.
«تلتفت الى المهرج»
أترى .. مازالت ذاكرتي سليمة.
الكلمات، الحركات، المداعبة التى تمت والتى لم تتم...
الدموع التى ذرفتها، الليالى التى بت فيها مسهدة فى انتظار عودته ..
الخطوات التى ذرعتها فى غرفتى الصغيرة...
وولدى مازال جنينا يسكن أحشائى
الخوف الذى انتابنى وانا اراه ينتزع من فراشه ليلا امام عينى .. ويؤخذ بعيدا، دون ان املك وسيلة لمنعهم من أخذه .. لمنعهم من تمزيق كتبه وأوراقه..
دموع وصرخات استغاثة ...
ركض بين الدوائر ذات الغرف المظلمة والوجوه اليابسة ... فقط كى أراه...
أن اتأكد من وجوده حياً .. من بقائه حياً.
ذاكرتى ما تزال سليمة.

كل ما مر لم يطمس الصور والأصوات...
بقيت محفورة فى القلب، ممزوجة بالروح...
اكاد ألمسها .. أشم رائحتها،
أترى يا صاحبى، لا يمكن ان تنسى الأحزان.
لكنى أؤكد لك .. سيحضرون ..
سيجبرهم «وائل» على المجىء الى...
كى يغفو فى احضانى كما كان يفعل والده:
يضع رأسه بين ثديى عند القلب...
ثم يطلب منى ان أقص له حكاية وما ان ابدأ:
كان يا ماكان ...
يا عاشقين النبى صلوا عليه وسلموا.
كان هناك حورية ذات شعر طويل...
طويل أسود .. حالك السواد...
تمشطه بمشط من الذهب وتبكى.
لأنها لا تستطيع الاستمرار فى تسريحه...
إذ لا تصل يدها حتى نهايته.

لذا فهى تبكى بدموع من لؤلؤ، يتجمع عند قدميها الصغيرتين.
عند هذا الحد...
وقبل ان نتجاوز القدمين الصغيرتين للحورية...
يكون هو قد أغفى ونام
أظل حينها أتأمل وجهه...
الثم يديه .. وجنتيه المتوهجتين
أتأمل تقويسة حاجبيه، ورموشه السوداء الكثيفة...
وتلك الخصيلات المتمردة من شعره...
وقد التصقت فوق جبهته.
«المرأة تنظر نحـو المهـرج .. ثـم تميل برأسـهـا لتحـدق فى نقطة مـعـينة أمامها..».

الانتباهة السابعة

المرأة: لم، قل لى، لم كون اسرته بعيدا عنى؟
أما كان بوسعه ان يبقى مع أمه...
بدلا من تركى وحيدة فى هذا البيت الخالى ...
الا من الذكريات والصور الصامتة؟

فضل ان يعتمد على نفسه
عنيد كما كان والده.
يفضل ان يفعل ما يريد وكما يحب ويؤمن...
حتى لو كلفه ذلك سكوت انفاسه...
وتدفق دمه ليختلط بتراب الأرض...
ورحيله في سواد ليلة موحشة.
لا ألومه، نعم من حقه ان يبنى أسرته بالطريقة التى تحلو له. معى ..
بعيدا عنى، المهم انه كان سعيداً.. لم يبخل بالزيارة والسؤال.
«تعاود النظر الى المهرج...»
صدقينى هو طيب وكريم
فى تلك المحنة .. انت تعرفها..
فقد كنت فيها نشطا كثير التنقل والعمل
بقى معى اياما وهو ينظر بغضب لما يدور حوله.
يدمى كفيه وهو يسمع تلك الاصوات الهادرة المرعبة..
تصب حمما وموتا على ارضه ومائه.
«وائل» يخفى رأسه فى صدرى ..

وزوجة ابنى، تلك الشابة الرقيقة التى تشبه الحلم...
صامتة، مرتجفة، تحاول ان تحتمى به.
والأصوات لا تهدأ..
اهتزاز الأرض تحت اقدامنا لا يتوقف.
ومع دوى كل انفجار، يتضخم سؤال:
متى سيكون دورنا.
فى اى لحظة من لحظات غفلتنا...
سنفاجأ بنيران النهاية
بقى معى اياما، ثم قرر ان يعود الى داره.
طلب منى ان اذهب للسكن معه بدلا من بقائى وحيدة هنا..
لكنى رفضت، فأنا الأخرى لا استطيع ترك هذا المكان.
«تتجول فى المكان .. تتلمس الاشياء، وكأنها تراها لآخر مرة».
المهرج: «يتحرك مع المرأة..»
المرأة: قد استطيع نقل الحاجات التى لى فيه.
لكنى لن استطيع نقل الضحكات...
النظرات،الدموع، الهمسات،الخوف،الحنين.

كل تلك الحياة الصاخبة، الهادئة، الحميمة..
تشدنى الى هذا المكان...
كل تلك المشاعر والذكريات والصور .. الصور.
«تتجمد حركة المرأة»
المهرج: «تتجمد حركته أيضا ...»
«المرأة والمهرج يلتقيان فى نظرة معبرة»
المهرج: «يتحرك باتجاه المرأة...»
المرأة: لا .. ألا تفهم، ليس الآن ..
لننتظر بضع لحظات، لحظات قصيرة فى عمر الزمن..
ماذا يغير لهو أضفنا هذه اللحظات الى كل تلك الساعات... والدقائق
والايام والسنين التى ضاعت ونحن ننتظر؟؟
هذه تضاف الى تلك، ولن يتغير شىء.
لن يهتز ، او ينبض قلب لصرخة رفض.
لم يحن الأوان بعد.
أنا لا أخاف الذهاب معك.
لكن لا أرضى انه يحضروا فلا يجدوا من يستقبلهم.

ان ينادوا فلا يسمعون ردي.

أخشى ان يؤلم ذلك «وائل» ...

ويدخل الخوف الى روحه الغضة...

فيبكي شوقا الي.

لا يحب الاطفال الرحيل، ويضيقون بالخفر البارد.

المهرج: «يتقدم ليقف قرب الصورة الأولى للعلقة في سقف المسرح»

«تتجمد حركة المرأة ونظرتها»

المرأة: لا تفعل .. إستحي بعض الوقت.

لابد من الانتظار والأمل.

ثمة نبتة صلبة تحاول ان تمد غصنها الغض، وترتفع فوق تربتها.

ثمة طير يخفق بجناحه ويحلق في سماء حريته.

ماء يتدفق ويكتسح العقبات التي تعترض طريقه.

نور يتسلل عبر كوة صغيرة لكن يتخذ ليحيل الظلمة نهاراً.

لا تفعل .. ليس الآن..

ليس في هذه اللحظة.

المهرج: «يمسك الصورة الأولى من طرفها ويحول وجهها نحو الجمهور

والمرأة»

«الصورة الأولى تمثل رجلا عربيا يتطلع بعتب..

الصورة مؤطرة بشريط أسود...»

المرأة: آه يا جرحي، ما استطعت سوى الانتظار والصبر.

ألم تطلب مني الانتظار والصبر.

فعلت كما أمرت، ولم يجد انتظاري وما أثمر صبري.

المهرج: «يمسك الصورة الثانية ليحولها نحو الجمهور والمرأة».

«الصورة تمثل شابا مبتسما .. وهي مؤطرة بشريط أسود.

وكذا الحال مع الصورة الثالثة التي تمثل شابة تتطلع نحو الجمهور والمرأة بعينين باسمتين .. وهي مؤطرة بشريط أسود .. الصورة الرابعة تمثل طفلا ضاحكا، بين يديه لعبة .. والصورة أيضا مؤطرة بشريط أسود..»

«تبقى الصورة الخامسة دون ان تدار من قبل المهرج»..

الانتباهة الثامنة:

المرأة: أعرف انك تأتي لكي تعود...

وأنك لا تعود بيدين خاليتين.

أعرف ان ذاكرتي لم تعد سليمة..

وان الاحداث تختلط على، فتضيع الحقيقة مع الحلم.
واعرف ان احلامى كثيرة، وتشوشات ذهنى متعددة.
وان الامور اختلطت، وما كان حاضرا اصبح غائبا.
وما كان غائبا بقى فى اطار الصور وموجعات القلب.
انتظارى سيطول .. ولن يحضروا..
فهم لا يملكون القدرة على الحضور.
لكن حنينى ووحدتى تدفعانى للذهاب اليهم..
الآن لم يجد انتظارى، وما عاد صبرى ذا قيمة.
أفلت من يدىَ زمام الأمر منذ ارتضيت الصمت فى تلك الليلة...
حين انتزعوك من فوق فراشك..
ومضوا بك يقودنك نحو مصير أعدوه لك مسبقاً.
أفلت منى الزمام مرة أخرى..
حين ارتضيت ان أربى ولدى على الصمت والصبر
أرأيت لم يجدنى الصبر، وما أثمر انتظارى عن نتيجة.
المهرج: «يتقدم نحو المرأة .. يمد يده اليها..»
المرأة: خذ بيدى..

انت تعرف الطريق اليهم.

يدك أرحم من تلك الايدي التي رسمت مصيري...

وحددت لي درب تحركي.

خذ يدي، فطالما مددت يدك لكثيرين قبلي ...

وقدتهم نحو أحلامهم.

«تمسك المرأة يد المهرج»

المرأة: ما أبرد يدك وما أنعم ملمسها..

تبدأ بالحركة ويدها في يد المهرج متجهين نحو الجمهور

حين يبدأ جرس الباب بالرنين يتوقف المهرج ثم حركة المرأة ما بين الباب والجمهور .. المهرج وجهه باتجاه الجمهور اما المرأة فوجهها يستدير نصف استدارة باتجاه الباب حيث الجرس مازال مستمرا في رنينه .. تحاول ان تندفع لفتح الباب لكن يد المهرج تتشبث بيدها بقوة .. تجمد حركة الاثنين .. تخفت الاضاءة تدريجيا الا حزم ضوئية تسقط على الصور المعلقة وعلى المرأة والمهرج.

النهاية

المحتويات

المؤلفون

قاسم محمد

١٩٣٦ –

ولد في بغداد . حصل على شهادة دبلوم الاخراج المسرحي في معهد الدولة للفنون المسرحية في موسكو . شغل عدة وظائف : مدرس لمادتي الاخراج والتمثيل في معهد الفنون الجميلة ومحاضر في مادة تهذيب حركة الممثل ومخرج اول في الفرقة القومية . ألف اول مسرحية في ١٩٥٧ ثم الف وأعد وترجم ومثل وأخرج أكثر من (٨٠ عرضا مسرحيا) أشهرها (بغداد الأزل بين الجد والهزل) ١٩٧٤ وله العديد من المقالات في فنون المسرح نشرت في الدوريات العراقية ، وهو عضو اتحاد الأدباء وفرقة المسرح الفني الحديث . حصل على جائزة أفضل مخرج محترف في مهرجان قرطاج ١٩٨٧ .

عبد الخالق الركابي

١٩٤٦–

قاص وشاعر وروائي . ولد في محافظة واسط . تخرج من كلية الفنون بجامعة بغداد ١٩٧٠ . عمل مدرسا ثم مشرفا لغويا في مجلة (آفاق عربية) . عضو اتحاد الأدباء وجمعية الفنانين ونقابة الفنانين . من مؤلفاته المطبوعة : (موت بين البحر والصحراء) شعر ١٩٧٦ |(نافذة بسعة الحلم) رواية ١٨٧٨ | (من يفتح باب الطلسم) رواية ١٩٨٢| (مكابدات عبد الله العاشق) رواية ١٩٨٢ | (حائط البنادق) قصص ١٩٨٣ | (الراووق)رواية ١٩٨٦ |(قبل أن يحلق الباشق) رواية ١٩٩٠ | (سابع أيام الخلق) رواية ١٩٩٧ .

عواطف نعيم

ممثلة وكاتبة ومخرجة وناقدة مسرحية . خريجة كلية الفنون الجميلة (دبلوم في تمثيل) و (بكالوريوس اخراج) كتبت العديد من الاعمال المسرحية والتلفزيونية والاذاعية . كرمت في مهرجان قرطاج الدولي .

صدر من هذه السلسلة

*الطريق الى بغداد – قصص – بثينة الناصري(ط١)١٩٩٨

*تخنيط – قصص – محمد خضير – ١٩٩٨

*رياح شرقية . . رياح غربية –رواية –مهدي عيسى الصقر – ١٩٩٨

*انفجار دمعة – يوميات – وارد بدر السالم – ١٩٩٨

*حين يحزن الاطفال تتساقط الطائرات –قصص – مجموعة كتاب – ١٩٩٨

*قبل الدخول عليكم بالنبأ– شعر –مجموعة شعراء – ١٩٩٨

* الطريق الى بغداد – قصص – بثينة الناصري (ط ٢) – ١٩٩٩

رقم الإيداع ٢٥٢١ /٩٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977-19-7923-3



٤ مسرحيات عراقية

لا يكف الإبداع العراقي [illegible] عن إدهاشنا بأفكار جديدة [illegible] بالمعاصرة.

في هذه المسرحيات ربما نجد آباء يباعون في المزاد، والوالي التركي يبحث عن مشرد صعلوك ليلعب معه الشطرنج، وشهرزاد في رداء المحاماة تدافع عن شهريار أمام محكمة عصرية. ربما نجد امرأة عجوزا تسلم قيادها لمهرج.

ثقافة ضد الحصار